دَوْلَة الأكارم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين وَلَعَنَةُ اللهِ عَلَى أَعْدائِهِم أجْمَعِين

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م



مكتب لندن - أرض فدك الصغرى

٠٠٤٤٧٤٠٤١٠٩٠٩٤

البريد الإلكتروني

upperhandorg@gmail.com

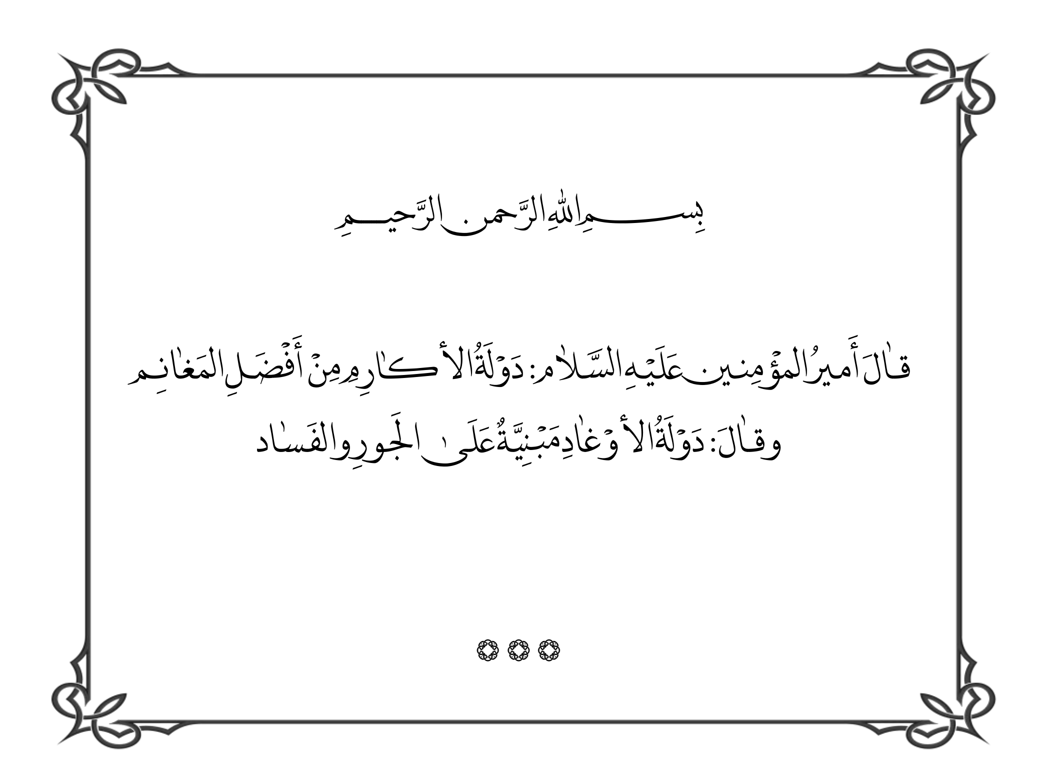
إخراج

دَوْلَةُ الأكارم

حُكْمُ الاجْتِهادِ لا حُكْمُ الله

تَقْريرًا لِمُحاضَراتِ الشَّيْخ ياسِر الحَبيب
حَوْلَ جَدَلِيَّةِ إقامَةِ الحُكْمِ في زَمَنِ الغَيْبَةِ الكُبْرى

تَقْرير
مُحَمَّد المَيل



بِسْمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيمِ

قالَ أَميرُ المؤْمِنين عَلَيْهِ السَّلام: دَوْلَةُ الأكارِمِ مِنْ أَفْضَلِ المَغانِم

وقالَ: دَوْلَةُ الأوْغادِ مَبْنِيَّةٌ عَلى الجَورِ والفَساد

۞۞۞

ملاحظـات

۞ دوَّن النصوص عن الأشرطة المسجَّلة: محمد الميل.

۞ التنضيد والإخراج الفني: مؤسسة هجر الإعلامية.

۞ إصدار: هيئة اليد العليا.

۞ العناوين الفرعية والتعليقات في الحاشية هي من وَضْع وانتخاب المقرر لا المحاضر.

۞ الآيات القرآنية خاضعة للترقيم الرافضي.

۞ قال الشيخ منوِّها: «كل الرؤى والاقتراحات التي طُرِحت المُضي بها مرهون بإجازة حاكم الشرع أي مرجع التقليد، والذي تناولناه في البحث هو مجموعة من الرؤى والنظريات بحسب ما أفهمه من منهاج الأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام».

كلمة الناشر

هذا الكتاب الذي بين يديك هو تقرير سلسلة من محاضرات سماحة المحقق الخبير الشيخ ياسر الحبيب (دامت بركاته) التي ألقاها في مسجد المُحسِّن الشهيد الواقع في أرض فدك الصغرى في المملكة المتحدة، والتي بثَّتها قناة (**فدك**)[١] الفضائية بعنوان: (**دولة الأكارم**)، والتي استحضر فيها نظريته الدينية السياسية في شأن إقامة الدولة في عصر الغيبة الكبرى، وتناول فيها أبرز الملامح التي ينبغي أن تظهر على هذه الدولة إن تأسست، ذلك كله من تراث أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وقد ذكر شواهدًا من وقائع التاريخ المعاصر والمتقدم تُعضِّد أطروحاته وتقرِّب المعنى للمتلقي.

ساهم في تدوين هذه المحاضرات وتنقيح نصوصها، وإعادة تبويبها ووضع العناوين محمد الميل[٢].

ويسر شعبة النشر في هيئة اليد العليا طبع هذا الكتاب ونشره في محاولة لتقريب وجهات النظر حول هذه القضية الجدلية الخلافية.

الناشـر

---

(١) موقع قناة فدك: fadak.tv

(٢) الموقع الرسمي لمحمد الميل (الذرَّة): altharrah.com

كلمة المقرِّر

مسألة إقامة الدولة والحكومة في عصر غيبة وليِّنا الإمام المهدي (صلوات الله عليه) من المطالب التي كَثُر الحَشوُ فيها، بين مُفتِّش عن برهانٍ يستبيح تشييدها، وبين من يتعقَّب الملامح التي يتوجب أن تتسم بها؛ ذلك كله منوط بالشرعية وإجازة الشارع، وبعض حرَّمها ولم يُجِزْ إعمارها في هذه الحقبة الفاقدة للإمام صاحب اليد العليا (على صاحبها السلام)، ومِمن مال للمذهب الأول الفيض الكاشاني، وصاحب الجواهر، والبروجردي، والشهيد الثاني، وغيرهم.

وفي كلا المذهبين مفارقات منهجية قطبها وجود الدليل الذي يُمضي للمؤمنين ذلك، رفعًا للجور - ولو جزئيًا - الذي طال الشيعة، وتحقيقًا للرفاه في بيئة مُحفِّزة تدفع لنشر العقيدة الحقَّة ودحض الزيغ والغي؛ لأن الإسلام دومًا يعلوا ولا يُعلى عليه!

يُناقش سماحة الشيخ الأستاذ الحَبر نجم النُجَباء ياسر الحبيب (دام عزه) هذا البحث الموسَّع بشكل مفصَّل، مُجزِلًا الكلام فيه، سابرًا أغواره، وذلك مواصلة منه في التجديد الفقهي، معالجًا إياه بأسلوب فريد كما هو ديدنه، وإنه لَعمري فريد زمانه في تحرير المطالب، وتنقيح المسائل، واستدراك النواقص، وما كَلِمي هذا إلا شهادةٌ مجروحة في حقه، ولكنها بيّنة واضحة لكل من أمعن النظر مُجرِّدًا نفسه من تلبيس إبليس!

ولا يَفوتنِي تنويه القارئ الكريم إلى الحرص الذي بلغ مداه مني حين تقرير هذه المحاضرات؛ حتى حاولت الالتزام الدقِّي قدر الإمكان بنفس كلام المحاضر وعدم الخروج

عنه بتذييلات وإلحاقات، إلا في أقاصي حالات الحاجة؛ كإضافة بعض الروابط بين الكلمات، وتغيير بعض الضمائر من الخطيب إلى المخاطب والعكس، بما يضبط النص ويخدمه، ذلك مع تقيّدي بحفظ المعنى والمراد؛ لأن المتحدث غير الكاتب؛ فالخطيب يقترن معه النبرات والإيحاءات الصوتية، والتحوّل إلى اللهجة الدارجة وما إلى ذلك، وتكون الصعوبة أجل إن ما أُنيط التقرير بالمواد العلمية؛ لذا قد تقع الأخطاء سهوًا في توضيح المبتغى أحيانًا.

وأبتهل إلى الله أن يطيل في عمره، وأن لا يحرمنا من النهل من نمير علمه المُرْتَشف من تراث آل محمد (عليهم الصلاة والسلام) الذي لا يأنسه إلا من فطنه!

محمد الميل – المملكة المتحدة

يوم الخميس، لتسعٍ خلون من جمادى الأولى لسنة ألف وأربعمئة وسبع وثلاثين للهجرة النبوية المشرفة

(١)

ملامح دولة الأكارم[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد (عليهم السلام) فيما أسرّوا وفيما أعلنوا وفيما بلغني عنهم وما لم يبلغني.

■ إشكالات على نظريات أنصار الدولة

تقدم منا الإلماع في بعض أجوبتنا السابقة إلى أنه قد وقع خلاف فقهي بين فقهائنا وعلمائنا في مسألة جواز تأسيس الدولة والحكم في زمان الغيبة، فبعض من الفقهاء ذهبَ تمسُّكًا بظواهر بعض الأدلة إلى حرمة هذا التأسيس، وبعض آخر ذهب تشفعًا بظواهر أدلة أخرى إلى جوازه، وهؤلاء أصحاب الرأي الثاني تراوحت آراؤهم بين من أوجب التأسيس وبين من استحبه وأباحه، وبين من أطلق الولاية فيه وبين من قيَّدها، وبين من اعتبر شكل الحكم على نحوٍ، وبين من اعتبره على نحو آخر؛ فكلٌّ رأى شكلًا من أشكال الحكم، وأقول هنا حسب تتبعي؛ ليست هنالك نظرية من نظريات الفقهاء أنصار جواز تأسيس الدولة في زمان الغيبة إلا ويَرِدُ عليه إشكال بل إشكالات، أي أن كل شكل من أشكال الحكم المقترحة يَرِد عليه إشكالات.

---

(١) أُلقيت في ١٦ جمادى الثانية ١٤٣٤ هـ.

إن نظريــة المجــدد الثــاني (أعــلى الله درجاتــه)[1] هــي أســلم تلــك النظريــات مــن الإشــكالات، ولكــن إن أردنــا الصــدق والصراحة والإنصــاف؛ فكــل نظريــة يَــرِد عليهــا إشكالات، وما ذلـك إلا لأن هـذه المسـألة لم نكـن نتوقـع مـن الأئمـة (علـيهم السـلام) في ظروفهم الخانقة أن يُبيِّنوها بحدودها التامة؛ لأن مجرد الحـديث عـن الخـروج عـن السـلطان وتأسيس الدولة وما شاكل كان يُعَد من أكبر المخاطر في ذلك الزمان، وحتى وإن افترضنا أن بعض الأئمة (عليهم الصلاة والسلام) بيَّنوا بشيء من التفصيل، فلا نتوقع من الـرواة الـذين يروون ذلك أن تنطلق ألسنتهم في روايته، لأنهم يخشون على أنفسـهم خطـر القتـل؛ فمجـرد الحديث في شأن سياسي وقضية تأسيس دولة كان يعد أمرًا خطيرًا، خاصة إذا كان المتحـدثون هم المعارضة الإسلامية التقليدية المعروفة وهم **(الرافضة)**، فالأنظمة المتعاقبـة كانـت تخشـى وتخاف كثيرًا من هذه الفئة على وجه التحديد، وخشيتها ترجع إلى أنها جربـت مـدى صـلابة هذه الفئة، وأنها عصية على التفاوض والتعامل مع النظام، خلافًا لسـائر الجماعـات الأخـرى التي اسـتطاعت بعـض تلـك الأنظمـة أن تَسْـتَميلها إلى جانبهـا بـالإغراء والترغيـب تـارة، وبالترهيب تارة أخرى، أما الرافضة فـأمرهم كـان عصـيًا، لـذلك أقـول إن كـل النظريـات المطروحة لا تخلو من إشكالات، ولكنها تعتمد على تقريبات، وذلك يعني أنه ليس بين يـدينا نصوص تحدد هذا الأمر.

إن نظرية المجدد الثاني في شورى الفقهـاء المراجـع هـي أسـلم تلـك النظريـات مـن الإشكالات، لأننا لو أردنا الصدق فإنه ليس بـين أيـدينا مـن دليـل صريـح قـد لا يَـرِد عـلى الاستدلال به إشكال في صلاحية تأسيس الحكم، ولا أعبر هاهنـا عـن الوجـوب وإنـما عـن الصلاحية من قِبَلِنا في زمان الغيبة إلى أن يظهر إمامنـا (صـلوات الله عليـه وعجَّـل الله تعـالى

---

(١) أي شورى الفقهاء المراجع.

فرجه الشريف).

■ لا بد للناس من أمير

أَدل هذه النصوص على هذه الصلاحية ما نجده في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) لَمَّا سمع مقالة الخوارج: «**لا حكم إلا لله**»، وينقل الشريف الرضي في نهج البلاغة جواب أمير المؤمنين (عليه السلام)، يقول: «**ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لَمَّا سمع قولهم لا حكم إلا لله**»، قال (عليه السلام): «**كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر**»[1].

هذه الكلمة من أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) هي الكلمة التي تدلَّنا على صلاحية تأسيس الحكم؛ لأن الأمير (عليه السلام) يحدد بشكل واضح بقوله: «**لا بدَّ للناس من أمير**»، دعك عن كل التقريبات الأخرى التي تُذْكَر في مسألة تأسيس الحكومة في زمان الغيبة، التي بعضها يقول بالشورى، وبعضها بولاية الفقيه المطلقة، وبعضها بالانتخابات من باب أن الناس مسلَّطون على أنفسهم وأموالهم، فكل هذه عبارة عن تقريبات تَرِد عليها إشكالات كبيرة، والمحصلة هي أهمية أن يكون هناك حاكم أمير، مهما كان الوضع، وليس من شيء يدلَّنا على هذا الحكم العقلي قبل أن يكون شرعيًا أكثر من كلمة أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.

■ الحكومة الجائرة خير من العدم!

فلا بد من حكومة، لأن عدم وجود الحكومة معناه الفوضى، والفوضى في كل الأحوال أسوأ الخيارات، حيث لا حكومة ولا دولة ولا قانون ولا أمن، ووجود حكومة ظالمة فاجرة كافرة لا شك أنه أفضل، فعلى الأقل لها أن تُؤمِّن الطرق، وتحقق شيئًا يأمن الناس فيه، ولا نقول أنها لن تظلم وتقتل أحدًا، ولا شك أنها سترتكب الكثير من الجرائم، ولكن ما إن وازنت بين الوضعين وجدتَ أن الجرائم مع وجود الحكومة أهون وأقل بكثير من الجرائم في ظل الفوضى؛ لأن بعد الفوضى ليس هنالك شيءُ يكبح جماح الناس، وكل تُطْلق يده والبقاء للأقوى، ويصبح الأمر أشبه بشريعة الغاب!

فمن هنا نقول: إذا كان لا بد للناس من أمير برًا كان أو فاجرًا، وكان بإمكاننا أن نختار بين البر والفاجر، وندفع بأحدهما ليولَّى فلا شك عقلًا وشرعًا أن ندفع باتجاه البر، وإذا كان الأمر هكذا فهل هنالك مصداق للبر أعظم من مصداق مرجع التقليد الجامع للشرائط؟ بتأكيدٍ لا.

بعبارة أخرى: إذا كان بأيدينا أن نُهيِّئ الظروف لتأسيس حكم، وأنه لا بد للناس من أمير، فلا شك أن العقول والقلوب كلها تتجه إلى البررة، وقدر ما نستطيع نتحاشى الفجرة والفاجر، وإذا لم نستطع نقبل به مع السعي إلى أن يولَّى فيها بعد بارٌّ من الناس.

■ ماذا لو لم نتمكن من تطبيق الشريعة بحدودها؟

هنا يأتي بحث أخر: إذا افترضنا أنَّا تمكَّنا من إيصال البر أو البررة، ولكنَّا لم نتمكن ولم يتمكنوا هم بدورهم من تطبيق الشريعة بكل حدودها وحذافيرها، وكان هنالك شيء لا بد أن نتنازل عنه، فهل هذا لنا شرعًا؟ أم لا بد أن نعود أدراجنا؟!

الجواب: هذا لنا شرعًا، ولكنه في حالات استثنائية خاصة، وتحتاج إلى دقة ونظر،

حتى لا يُفتح باب التنازل عن الشريعة، والسيرة تشهد على ذلك.

● المثال الأول:

يوسف النبي (صلوات الله عليه) كان حاكمًا، ولكن السؤال؛ هل كانت حكومته بكل جوانبها وخصوصياتها وأحكامها وقوانينها حكومة دينية على طبق ما أمر الله (عزَّ وجل)؟ أرى من المبالغة القول أنها كانت مطابقة مِئة بالمئة، لأن الآثار تشهد؛ ففي حديث إمامنا الرضا (عليه الصلاة والسلام) يقول: «**ويحهم! أما علموا أن يوسف عليه السلام كان نبيًا ورسولا دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز، ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك، على أني ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه فإلى الله المشتكى وهو المستعان**»(١).

يوسف كان العزيز، أما السلطان والملك كان شخصًا كافرًا، حيث كان يوسف بمثابة رئيس وزراء يحكم باسم مملكة كافرة، ولكن هو نبي الله، وبمقدار ما كان يتمكن فقد أرسى قواعد دين الله، وقواعد العدالة والمساواة والرخاء، ولا نستطيع أن نقول في كل الأمور أن يده أُطلِقت، واستطاع أن يطبِّق كل شيء حسب ما أمر الله (عزَّ وجل)؛ لأنه لم يكن يستطيع، لا أقلًا لم يكن يستطيع أن يطبِّق أمر الله في أن يكون الحاكم الأعلى مسلمًا، وأن يكون الحاكم هو نبي الله، لا أن يكون هنالك أحدٌ فوقه؛ وهذه كافية لإثبات أن هذا الحكم لم يكن حكمًا دينيًا على الإطلاق، وليس هذا لتقصير يوسف (عليه السلام)، ولكن لم تكن هنالك قابلية لتطبيق ذلك على الأرض، وبعبارة أخرى؛ إن ما لا يدرك كله لا يترك جله(٢)، والمقدار

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج١، ص١٥١.

(٢) عوالي اللئالي، ج٤، ص٥٨.

الذي تستطيع أن تقوم به من أجل إدارة المجتمع على حسب قوانين الله (عزَّ وجل) قم به، وهذا ما فعله يوسف (عليه السلام)، وليس يوسف وحده، بل أكثر من شخصية، وبعضهم ليسوا من الأنبياء والأوصياء (صلوات الله عليهم)، ووحدهم أصحاب الحكومات الدينية الكاملة المطلقة هم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، والإمام الحسن (صلوات الله عليه).

● **المثال الثاني:**

ليست كل الحكومات التي أسْبغ عليها بعض الأنبياء والأوصياء رِداء الشرعية كانت هكذا، على سبيل المثال، هناك نموذج واضح وهو نموذج عبد الله النجاشي، ولا أقصد النجاشي الذي كان حاكم الحبشة، وإنما النجاشي الذي كان حاكم الأهواز في زمان أبي عبد الله الصادق (عليه الصلاة والسلام)، وهو رجل قد وُلِّي من قبل بني العباس على الأهواز، وكان في باطنه رافضيًا ومؤمنًا بأهل البيت (صلوات الله عليهم)، كتب رسالة إلى الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام) يستأذنه فيها أن يباشر هذه المهمة الحكومية، ويطلب منه نصحه وإرشاده، والرسالة تجدونها بنصها والجواب عليها في كتاب وسائل الشيعة لشيخنا الحر العاملي (رضوان الله عليه)، يقول هناك: روى الشهيد الثاني الشيخ زين الدين (رضوان الله عليه) في رسالة الغيبة بإسناده عن الشيخ الطوسي عن المفيد عن جعفر بن محمد بن قولويه عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى عن أبيه، عن عبد الله بن سليمان النوفلي، وهؤلاء كلهم ثقات، قال: «**كنت عند جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، فإذا بمولى لعبد الله النجاشي قد ورد عليه فسلم وأوصل إليه كتابه ففضه وقرأه، وإذا أول سطر فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى أن قال: إني بليت بولاية الأهواز، فإن رأى سيدي ومولاي أن يحد لي حداً، أو يمثل لي مثالًا لأستدل به على ما يقربني إلى الله عزَّ وجل وإلى رسوله،**

ويلخص لي في كتابه ما يرى لي العمل به، وفيما أبتذله، وأين أضع زكوتي؟ وفيمن أصرفها؟ وبمن آنس؟ وإلى من أستريح؟ وبمن أثق وآمن وألجأ إليه في سري؟ فعسى يخلصني الله بهدايتك فإنك حجة الله على خلقه، وأمينه في بلاده، لا زالت نعمته عليك»(١).

تلاحظون أن العبائر التي وردت في رسالة النجاشي إلى الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام) كاشفة عن حسن اعتقاده، حيث ينادي الإمام بحجة الله، وطلب منه أن يضع له حدًا، وفي الفحوى تكون هذه الرسالة استئذانية.

■ قبول الإمام بالمتاح

وشاهدنا أن الإمام (عليه الصلاة والسلام) كتب له جوابًا، وفحوى جواب الإمام أنه أقرَّ هذا الرجل على مكانه مع علم الإمام (عليه السلام) أنه لا يمكن لهذا الرجل أن يطبق كل الأحكام كاملة وهو يحكم تحت ظل حكومة بني العباس؛ لأنه يحكم باسمهم، ويمتثل لأوامرهم في الجملة، فلا نتوقع منه أن يستطيع تطبيقَ كل الأحكام الإسلامية، فقبول الإمام (عليه السلام) لأن المتاح هو هذا، وهو أفضل من العدم، وأن لا يكون هناك حكم على الإطلاق.

فأجابه الإمام: «**بسم الله الرحمن الرحيم: حاطك الله بصنعه، ولطف بك بمنه، وكلأك برعايته، فإنه ولي ذلك. أما بعد، فقد جاءني رسولك بكتابك، فقرأته وفهمت جميع ما ذكرت وسألت عنه، وزعمت أنك بليت بولاية الأهواز، فسرني ذلك وساءني، وسأخبرك بما ساءني من ذلك، وما سرني إن شاء الله. فأما سروري بولايتك فقلت: عسى أن يغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من آل محمد عليهم السلام، ويعز بك ذليلهم، ويكسو بك عاريهم، ويقوي بك**

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٥٠.

ضعيفهم، ويطفي بك نار المخالفين عنهم. وأما الذي ساءني من ذلك، فإن أدنى ما أخاف عليك أن تعثر بوليٍّ لنا، فلا تشم حظيرة القدس، فإني ملخص لك جميع ما سألت عنه إن أنت عملت به، ولم تجاوزه رجوت أن تسلم إن شاء الله. أخبرني يا عبد الله، أبي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: من استشاره أخوه المؤمن فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبه. واعلم إني سأشير عليك برأيي إن أنت عملت به تخلصت مما أنت متخوفه. واعلم أن خلاصك مما بك من حقن الدماء، وكف الأذى عن أولياء الله والرفق بالرعية والتأني وحسن المعاشرة مع لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، ومداراة صاحبك، ومن يرد عليك من رسله، وارتق فتق رعيتك بأن توقفهم على ما وافق الحق والعدل إن شاء الله».

■ سرور الإمام الصادق عليه السلام

● رفع الاضطهاد عن آل محمد وشيعتهم

هذا ما سرَّ الصادق (عليه السلام)، فالأجواء آنذاك ولا تزال هي أجواء اضطهاد لآل محمد (عليهم السلام) ولشيعتهم، حتى أن آل محمد في تلك الأزمنة كان بعضهم يُخفي نسبه؛ لأنه إن ذكر نسبه إما أن يقتل أو يسجن، أو يودع تحت قيد الإقامة الجبرية، أو يضطهد، أو تلاحقه عيون السلطة وجواسيسها.

وللعلم؛ آل محمد (عليهم السلام) لم يكونوا يواجهون تهديدًا من السلطة في كثير من الأحيان، إنما كانوا يواجهون تهديدات من الناس والجماعات والأحزاب والتيارات، ففي بعض الأحيان كان الأئمة يعانونَ من الخوارج، لأنهم لو كان بيدهم الأمر لفتكوا بالأئمة، حيث أنهم كان لديهم مشاريع اغتيال للأئمة (صلوات الله عليهم)، وبعض الأحيان كانوا يعانون من مجاميع ناصبية كالحنابلة المتعصِّبين، وبعض الأحيان كانوا يعانون حتى من بعض

المجاميع التي تدَّعي التشيَّع؛ كالواقفة الذين كان لديهم مشروع اغتيال الإمام الرضا (عليه الصلاة والسلام) رغم أنهم ينتسبون ويقولون نحن شيعة، والزيدية كذلك، كانت لديهم مشاريع اغتيال لبعض الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام)، وهذه مذكورة في التواريخ، حتى قال الأئمة لما سئلوا عن الزيدية أهم إخواننا، قالوا: «**هؤلاء - أي البكرية - نصبوا لكم، وهؤلاء - أي الزيدية - نصبوا لنا**»[1].

فلا يُتَوَهم أن تقية الأئمة كانت فقط من السلطان، ولو حققنا جيدًا في بعض الروايات لعلمنا أن الأئمة كانوا يتَّقون حتى من مثل الزيدية والخوارج وما أشبه.

ففي ظل أجواء كهذه تكون هنالك مسحة من أمل بأن يكون على ولاية الأهواز حاكمٌ ظاهرًا هو من ملَّة بني العباس، ولكنه باطنًا شيعي رافضي على ملَّة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا كان يفرح الإمام (عليه السلام)، حتى إذا أتاهُ الملهوف الخائف يقول له اذهب للأهواز ففيها حاكم لا يُظلم عنده أحد، مثلما كان النجاشي الذي كان في الحبشة، والذي أقرَّة رسول الله على ملكه وحكمه.

● إطفاء نار المخالفين

المخالفون أشعلوا نارًا على أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) حتى وإن ادَّعوا غيرَ ذلك، وأعني بالمخالفين أسلافهم في تلك الأزمنة؛ كأبي حنيفة ومالك بن أنس، وغيرهما، وهؤلاء من أعلام أهل الخلاف كانوا في الظاهر يحترمون أئمة أهل البيت، وكانوا يقولون: «**ما رأت أعيننا أفقه من جعفر بن محمد**»[2]، و«**لولا السَنَتَان لهلك النعمان**»[1]، ولكن في

---

(١) الكافي الشريف، ج١٥، ص٥٣٧، ولفظه عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) مخاطبًا عبد الله بن المغيرة: «**إن هذا – أي الناصبي – نصب لك، وهذا الزيدي نصب لنا**».

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج١، ص١٦٦، وأسنى المطالب لدحلان الشافعي، ص٥٥.

الواقع العملي أشعلوا النيران ضد جعفر بن محمد والأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام)، وجعلوا الأمة تنحرف بل وتبغضهم بغير لسان، وهذا واضح لمن دقق جيدًا في سير أولئك القوم؛ ولذلك سَمَّاهم الإمام (عليه السلام) بالأخابث كما في الروايات[(٢)]، وهذه النيران التي أشعلوها أججت الساحة ضد أهل البيت (عليهم السلام)، ومن يُطفئ تلك النيران المشتعلة على آل محمد (عليهم الصلاة والسلام) إلا ذو السلطة والنفوذ والقدرة؟

فحين يأتي عبد الله النجاشي ويحكم الأهواز مع أنه يحكم باسم بني العباس، ويده ليست طليقة لتنفيذ منهاج الإسلام، ولكن لا أقلًا نستطيع أن نستفيد منه في رفع شيء من الظلم والحيف عن أهل بيت النبوة، وإطفاء نائرة المخالفين لهم.

■ خوف الإمام على النجاشي

«**فإن أدنى ما أخاف عليك أن تعثر بولي لنا**». يخاف عليه الإمام من أن تُصبحَ عنده عثرة لأنه ظلم شيعيًا وآذاه، أو ضيَّقَ عليه أو أحرجه، وظلم الشيعي أمر خطير، والأئمة

---

(١) التحفة الأثني عشرية للدهلوي، ص١٤٢.

(٢) أخرج الشيخ الكليني بسنده عن سدير قال: «**سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو داخل وأنا خارج وأخذ بيدي، ثم استقبل البيت فقال: يا سدير، إنما أُمِرَ الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيُعْلِمونا ولايتهم لنا، وهو قول الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ - ثم أومأ بيده إلى صدره - إلى ولايتنا - ثم قال: يا سدير، فأريكَ الصادّين عن دين الله؟ ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حُلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادّون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وآله حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وآله**». (الكافي الشريف، ج١، ص٣٩٣).

حذّروا من ذلك[١].

■ وصيته في حقن الدماء

الحاكم الشيعي الحقيقي هو ذاك الذي يحتاط كثيرًا في الدماء، وليس فقط على دماء الشيعة وإنما على دماء المسلمين، بل حتى الكفار.

ارجعوا إلى وصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) لَمَّا كان يوصي أمراء سراياه في الغزوات، تجدونه كان يوصيهم عشرات الوصايا كلها تدور مدار السِلْم، وكان مما يوصي أنه إذا أشار أحد من المسلمين بعينه إلى واحد من جيش العدو الكافر وهو في جيش آخر إشارة أمان فآمنوه؛ فحتى في أوضاع الحرب يستطيع المسلم أن يؤمِّن فلانًا من الكفار ويحقن دمه، بل ويستطيع المسلم أن يؤمِّن قبيلة بأكملها، فالحاكم الشيعي الحقيقي هو الذي يبتعد ويتحرَّز كثيرًا عن الخوض في الدماء، وعليك أن تقارن في أوضاعنا الآن، هل الحكومات التي تدَّعي أنها شيعية تحتاط في حقن الدماء؟!

■ الرفق بالرعية

لا بد مِن الرفق بالرعية دون خشونة وغلظة كمنهج عمر بن الخطاب الذي كان فظّا

---

(١) بمضمونه عن الصادق (عليه السلام): «**كل الذنوب مغفورة سوى عقوق أهل دعوتك – أي الشيعة–**». (تحف العقول: ٣٠٣) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «**وأما الذنب الذي لا يغفر فمظالم العباد بعضهم لبعض**». (الكافي الشريف، ج٢، ص٤٤٣)، وعن السجاد (عليه السلام): «**يغفر الله للمؤمن كل ذنب، ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين: ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان**». (الوسائل، ج١١، ص٤٧٤).

غليظ القلب[1]، وإنما العمل بمنهج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين بالرفق والرحمة والرأفة والتأنِّي وحسن المعاشرة، واللين بشرط مهم جدًا بأن يكون في غير ضعف، يعني أمام العدو الباغي المجرم الإرهابي لا يكون لينًا ويعمل مصالحة وطنية مثلًا!

■ مداراة الحاكم الأعلى

بالنتيجة كان النجاشي واليًا وليس الحاكم الأعلى، فالحاكم الأعلى كان من بني العباس وهو أبو جعفر المنصور الدوانيقي (لعنه الله)، وعلى النجاشي أن يداريه، وأن لا يُناجزه ويتحداه؛ لأنه طاغية ولا تكافؤ بينهما، فالنجاشي كان يحكم رقعة جغرافية هي الأهواز فقط، وهناك معادلة مفروضة عليه إن قبلها سيبقى حاكمًا، ويمكن بذلك أن يحقق ما يمكن تحقيقه من أجل الصالح الإسلامي العام، وإما أن يترك، لأنه إذا تحدى سيخسر هذه الرقعة الجغرافية التي يحكمها، وسيخسر بذلك المؤمنون الكثير، بل وسيخسر النجاشي نفسه بالإعدام إذا تمرَّد وتحدى.

ونسقط هذا على واقعنا المعاصر؛ أمريكا هي الأقوى، وهذه المعادلة مفروضة علينا، فهي التي تحكم العالم شئنا أم أبينا، ولا نخالف أن الحكومة الأمريكية حكومة كافرة وطاغية، وأن كثيرًا من مآسينا بسببها، ولكن الكلام في أيهما أصح؛ المناطحة أم المداراة؟

المعادلة مفروضة علينا، وليس لنا قِبَل بهؤلاء، ولا تكافؤ في القوى؛ كما أنه لم تكن هنالك قوة ظاهرية دنيوية للشيعة ولا للنجاشي ولا للإمام الصادق (عليه السلام) قوة ظاهرية دنيوية تكافؤ قوة العباسيين، ولذلك عملوا بالتقية، وأمر النجاشي بالمداراة، وأمريكا

---

(١) روى ابن شبة النميري في تاريخ المدينة، ج٢، ص٦٧١، عن زبيد بن الحارث أن أبا بكر حين حضره الموت أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: «**تستخلف علينا فظا غليظا، ولو قد ولينا كان أفظ وأغلظ، فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟**»!

لن تعطي ضوءً أخضرًا لشيعة البحرين لأن يحكموا إلا أن يـداروها، فالقضـية واضـحة فـلا داعي للثورات وسفك الدماء بلا نتيجة!

إذا كانت القوة غير متكافئة؛ فهنا إذا خُيِّرنا بقبول الحكم مع المداراة لتطبيـق الإسـلام ولو جزئيًا نقبل؛ مثلًا نعطيهم نفطًا مقابل أن يرفعوا الظلم عـن النـاس، وتشـكيل البحـرين الكبرى، وتحرير المقدسات في مكة والمدينة والبقيع، بهذا المقدار الـذي نسـتطيع تحقيقـه ومـع إذن حاكم الشرع نمضي به، وهذا الذي أمر به الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام)، أن لا يقوم بثورة على المنصور وهو طاغية بني العباس ومجرم عصـره، في حـين أن عنـدنا روايـات كثيرة تبين الموقف الصارم للأئمة (عليهم السلام) في التعاطي مع الدولة، حتى إلى درجـة أن الأئمة منعوا من الوقوف على الثغور والمرابطة لجهاد العدو الكافر، بل قـالوا أن الـذي يقتـل هناك غير شهيد، لأن ذلك سيصب في صالح النظام الموجود، وهنالـك جـزء مـن الروايـات التي تذكر جوازًا إذا ما كان دفاعًا عن بيضة المسلمين مع قيود كثيرة، مع ذلـك فتحـوا البـاب أمام النجاشي وغيره، وأمثلة كثيرة حكمـوا وملكـوا وكـانوا عـلى اتصـال سرِّي مـع الأئمـة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) في عهود بني أمية والعباس.

وللأسف، هذه الآثار الشريفة لم يلتفت إليها جيدًا، ولم يحقق فيهـا، ولم تُـربط بواقعنـا المعاصر، وذلك سبب مآسينا، لأنَّا ما استوعبنا منهاج أئمتنا (عليهم الصلاة والسلام) جيـدًا؛ فعلينا أن نسقط هذه الروايات على واقعنا، ونقيس واقعنا بها، حتى نعرف إذا أُتيحـت فرصـة لتشكيل دولة وحكم على أية جهة يجب أن يمضي هذا الحكم؟ وفي أي طريق يسير؟ وما هـي ملامح هذه الدولة؟ وماذا نسميها؟

■ نسميها دولة الأكارم

نحن نسميها دولة الأكارم؛ انطلاقًا من قول أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) الذي رواه الآمدي في غرر الحكم، يقول (عليه السلام): «**دولة الأكارم من أفضل المغانم**»[1]، وهي في مقابل دولة اللئام، وليس الكرم في الحديث ما يقابل البخل.

الناس الكرماء هم الذين لا يظلمون، ويسعون ما استطاعوا لتحقيق هذه الأهداف التي وردت في رسالة الصادق للنجاشي، ولا ندَّعي أنها ستطبق كل أحكام الله، هذا متعذَّر إلا للإمام المعصوم (عليه الصلاة والسلام)، لكن بالمقدار الذي نستطيع أن نقوم به، وإذا تشكَّلت هذه الدولة يجب أن تكون من أول مهامها المحاولة قدر ما تستطيع في تقريب المجتمع إلى الحق أي التشيِّع.

■ دولة الأكارم مفقودة!

نحن أقمنا حكومة في العراق، لكن هل هذه الحكومة تتولَّى مهمة نشر التشيِّع في العالم؟ كلا، فهي بعيدة عن توجيهات الصادق (عليه الصلاة والسلام) التي ينبغي أن ترصد ميزانيات ضخمة لنشر التشيع، ودعم الحملات التبليغية عبر الكتب والوسائل السمعية والبصرية، وأن تتحرك على شتى الأصعدة من أجل ذلك؛ فإن لم يكن الأمر هكذا فذلك يعني البعد عن منهاج الصادق والأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام)؛ فنحن لا نريد الحكم من أجل الحكم، أو أن نقوم بثورة ونصرف من الدماء ليبقى الأمر أننا جلسنا على كراسي! لا نجد مع الأسف حكمًا شيعيًا بمثل هذه الصفات والملامح، دولة الأكارم مفقودة! فتأسيسًا على قاعدة «**لا بد للناس من أمير برًا أو فاجرًا**» كما يقول أمير المؤمنين، إذا كان الخيار

---

(١) غرر الحكم، ح٥١١٢.

بيدنا نختار البر، والفاجر قدر المستطاع نحوِّله إلى بر، وملامح تلك الدولة التي هي من المغانم تحتاج إلى نقاش طويل وعريض، وتبيان لروايات عدَّة لنجعل سلوك هذه الدولة سلوكًا موافقًا للحق والعدل، والفطرة الإنسانية السوية، ولن نستغرق في الكلام الإنشائي الدعائي المعتاد الذي تقوله كل الأحزاب التي لا تغني ولا تسمن من جوع، فعلينا أن نلتفت إلى ملامح هذه الدولة حسب الروايات الشريفة.

■ إلا الدين لا يحسبون له حساب!

النماذج التي تحققت مما يسمى حكمًا شيعيًا، سواءً كانت حديثًا أو قديمًا لم تكن بالمستوى أبدًا، وهذا أقل ما يقال فيها، نجده نظام حديدي صلب ثم يلين ويضعف وينهار، والسبب ينطلق من مقولة أمير المؤمنين (عليه السلام): «**من تهاون بالدين هان**»[1].

وهناك نماذج؛ كحلب التي كانت شيعية في القديم ثم انهارت بعدما استهانت ببعض الثوابت الدينية، فأُصيبت بالمهانة والذلة[2]، وفقدوا كل شيء كان بأيديهم، وهذه المسألة تكررت في إيران ولا زالت تتكرر، وكذلك في العراق والبحرين الكبرى بلاد هَجَر.

---

(١) غرر الحكم، ح٩٣٩.

(٢) راجع كتاب حل الإشكال، الرسالة الجوابية للشيخ الحبيب للشيخ النصراوي، الرسالة الأولى: «**حلب، بلدة ضعف فيها الوجود الشيعي حتى انحسر وزال، رغم أن الشيعة كانوا فيها الأكثرية الساحقة، وكانت يوماً ما عاصمة الدولة الحمدانية الشيعية، كما كانت مركزاً علمياً شيعياً شامخاً خرّج أفذاذ العلماء، إلا أن كل ذلك لم يفلح في ضمان الوجود الشيعي هناك ومقاومة الحملات، وما ذاك إلا لما حكاه التاريخ عن مجتمع حلب وقيادتها من ضعف مظاهر الرفض والقعود عن إظهار البراءة مقابل الغلو المفرط في التطبيع مع الآخر ومجاملته وتقديمه، ذلك الغلو الذي بلغ حد قبول شيعة حلب بأن يتولى القضاء بينهم (أبو الجود) القاضي الحنفي البكري**»!

تعال وانظر إلى مسيرة تلك الأحزاب كم مرة تنازلت؟ بل كم مرة وقفت مع الخصم والعدو ضد أولياء آل محمد (عليهم الصلاة والسلام)؛ لا يحسبون حساب الدين لأن الحسابات عندهم سياسية صِرفة!

فإذًا من أهم ملامح دولة الأكارم إن قُيِّض لنا تأسيسها عدم التهاون في الدين أبدًا، ومثاله؛ في أيام شهادة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) يجب ألا نجعل في الإذاعة غناءً أولهوًا، بل يجب أن نعلن ذلك يوم حداد وطني؛ فهذه فاطمة بنت محمد! فإذا لم يكن عندك احترام لسيدة نساء العالمين لِمَ تجلس على الكرسي وتحكم باسم التشيِّع، وباسم الإسلام والفاطمية؟!

ويجب ألا تكون الشوارع والمناطق والمؤسسات والمنشآت بأسماء قتلة أهل البيت (عليهم السلام)؛ كمنطقة المنصور في بغداد، بل فيها تمثال يُرمِّزه، ويجعله وكأنه شخصية من الشخصيات المرموقة في التاريخ[1]!

■ خَف الله يخاف منك الناس!

هذا تهاون؛ فيُصابون بالهوان، ويذلهم الله (عزَّ وجل)، ولو تشجَّعوا لقذف الله الخوف في قلوب خصومهم، وهذا قانون من أروع القوانين جاءنا عن الصادق (عليه السلام)، ويا ليت كل الشيعة يلتزمون به، ويجعلونه نبراسًا لهم في حياتهم؛ يروي ثقة الإسلام الكليني (رضوان الله تعالى عليه) في الكافي الشريف، عن الإمام الصادق (عليه السلام): «**من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء**»[2].

أنت إذا خفت الله سترى أن الله يُخيف منك كل شيء، وتصير عندك هيبة عند

---

(١) بل في إيران اليوم شوارع بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان بترحيب وغطاء كامل من الحاكم علي خامنئي!

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني، ج٨، ص٢١٨.

الآخرين، وهذا منطبق على القيادات الشيعية السياسية، تجدهم يخافون كل شيء إلا الله، ويحسبون حساب كل الأطراف إلا طرف واحد وهو الله وأولياء الله! تجد في المناهج الدراسية الرسمية في العراق ما زال يُدَرَّس ما فيه تعظيم وثناء على أبي بكر وعمر وعائشة وترضٍ عنهم، وهم طرف النزاع مع آل محمد (عليهم الصلاة والسلام)، ولا يجدون في ذلك حرجًا، ويحسبون حساب كل الأطراف إلا آل محمد! ومن تكنْ هذه صفته يجعله الله يخاف كل شيء؛ فيظل حقيرًا ذليلًا، وإن امتلك القنبلة الذرية والنووية!

سبحان الله! أرى هذه المعادلة منطبقة تمام الانطباق على النظام الحاكم في إيران، رغم أنه النظام الأقوى في المنطقة، بحرسه الثوري وجيشيه وأسلحته، حتى أنهم بدأوا يطيِّرون أقمارًا صناعية، نظامهم حديدي وجبار، ولكن مع ذلك كله تراه خاضعًا خانعًا ضعيفًا ومنهزمًا أمام صغار المخالفين!

أحمدي نجاد الذي هو رئيس يذهب إلى الأزهر في مؤتمر صحفي؛ فيذلونه! ويقول نحن قلنا بالوحدة؛ فيوعز إلى القائم بالأعمال الإيراني إلى أنه اعملوا احتفالية بميلاد السيدة عائشة، حتى يبيِّنوا للأزهر أنهم معهم، ومستعدون للاتحاد على نصرة عائشة!

ما قيمة الأزهر؟! حتى في الأوساط البكرية لم يعد له قيمة، فهو مجرد واجهة ورمز، وعموم البكرية لا يرجعون إليه اليوم ولا يعتقدون به، حتى إذا أرادوا أن يستفتوا لا يستفتون منه؛ لأن عندهم رموز أخرى اكتسحت الساحة، ومصر كلها بعد حسني مبارك أصبحت ضعيفة، وتدنَّت إلى أدنى المستويات، ونظامها مهزوز؛ لأن الرئيس الذي أتوا به حمار!

هناك طرفة مصرية يذكرون فيها أن مصريًا قابل يابانيًا، فقال له: نحن متطوِّرون أكثر منكم، فقاله له المصري: بل نحن متطوِّرون أكثر، فقال الياباني: نحن أغبى واحد عندنا في

اليابان يستطيع أن يبرمج كمبيوترًا ويُعيَّن مبرمجًا؛ فرد عليه المصري قائلًا: ونحن أغبى واحد عندنا صار رئيس جمهورية!

بالفعل شخصية مهزوزة وضعيفة، (**أونطة**)[1] كما يقول المصريون.

■ التيقّظ من ملامح دولة الأكارم

من ملامح دولة الأكارم أيضًا التيّقظ؛ لا بد أن تكون هذه الدولة متيّقظة تمام اليقظة لحراسة أمورها، ففي الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «**من أمارات الدولة التيّقظ لحراسة الأمور**»[2]، ولو رجعتم إلى الدول التي نامت ولم تبقَ على وتيرتها وفاعليتها تجدها انهارت، ودولة الملك فاروق في مصر كانت تعاني من هذه المشكلة، دولة نامت لذلك خسر عرشه وانهارت تلك الدولة.

■ قوام دولة الأكارم العدل

ثم قوام هذه الدولة العدل، فذلك حصانتها، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «**ما حُصِّن الدول بمثل العدل**»[3]. فإذا كنت تريد أن تصون النظام جيدًا كن عادلًا، ونحن لا نقول أن عدالتك ستكون مطلقة، ولكن المهم أن الله (عزَّ وجل) يعلم من نيتك أنك تسعى نحو العدل بمقدار ما تستطيع، ولا تعدل فقط بين الشيعة، بل حتى مع غيرهم أيضًا، فنحن لا نرضى بأن يُجار على أحد حتى وإن كان مخالفًا وكافرًا، مبادئنا الدينية هكذا تُحتِّم علينا، ونحن قلنا أن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) قال: «**دولة الأكارم من أفضل المغانم**»،

---

(١) كلمة مصرية تستخدم للاستحقار والسخرية، ويقصد بها الشيخ الرئيس المصري المعزول محمد مرسي.

(٢) غرر الحكم، ح٧٧٩٢.

(٣) غرر الحكم، ح٧٧٧٩.

وما يقابلها هي دولة الأوغاد حيث يقول: «**دولة الأوغاد مبنية على الجور والفساد**»[١]، فعندنا نموذجان، نموذج دولة الأكارم التي قوامها العدل، وفي قبالها دولة الأوغاد التي قوامها الجور والفساد.

■ لا تنخدع بالظاهر!

حتى الدول التي ترفع شعار التشيّع، إن رأيت فيها جورًا أو فسادًا؛ فاعلم أنها دولة أوغاد، فلا تنخدع بالظاهر، ولا تَقُلْ أن الذي يحكم هذه الدولة معمم؛ فعمر لَمَّا كان يحكم دولته كان معممًا! ولا تقلْ هذا يحكم باسم الله وباسم رسول الله وباسم أهل البيت، فبني العباس كانوا يحكمون وكانت دولتهم باسم أهل البيت أيضًا.

اسمع صرخات وآهات المظلومين داخل إيران التي تدعي التشيّع والذين بعضهم من مراجع التقليد قبل أن تغتر، فلا يأخذك الظاهر، وانظر هل بالفعل هذه الدولة دولة مبنية على العدل؟ فإذا بحثت بشكل متجرِّد عن الهوى ستصل إلى نتيجة أنها دولة أوغاد، وليست دولة شرعية، وبسبب موقفنا المبدئي هذا ندفع الثمن، نحن والعلماء والمراجع والمجتهدين وأساتذة وطلبة الحوزات الأصيلة والشريفة؛ لأنهم يقولون أن هذا النظام يرتكب مخالفات شرعية.

لا تقلْ كلنا واحد، وكلنا أتباع علي بن أبي طالب (عليهما السلام)؛ فتابع علي هو الذي يمتثل لأوامر علي الذي يقول: «**ما حُصِّن الدول بمثل العدل**»، انظر للواقع واجعله يتحدث، ولا تحرِّك العاطفة إياك، فنحن مشكلتنا الأساسية مع المخالفين أنهم يُغلِّبون العاطفة على العقل؛ لأن المخالف عاطفته باتجاه عائشة، ويقول هي زوجة وحبيبة رسول الله،

(١) غرر الحكم، ح٨٠١٢.

المبرأة من فوق سبع سماوات، وأبو بكر وعمر صهرا وحبيبا رسول الله! فنحن نقول له أعمل عقلك على حساب عاطفتك، ولا تجعلها تحرّك، إذا اكتشفت أن هؤلاء نافقوا وابتدعوا أحدثوا وأجرموا وارتكبوا الآثام، ونزل فيهم قرآن يذمهم، وجاءت أحاديث في ذمهم والتحذير منهم؛ عليك أن تنزل على حكم العقل الذي يستنتج من هذه الآيات والأحاديث أنهم أُناس أشرار، ولا ينبغي أن نحبهم، بل علينا أن نبغضهم ولا نكون معهم.

تقول له أن هناك جرائم ترتكب في هذا النظام المدعي للتشيّع، ومخالفات للشرع، انظر للمؤمنين ماذا حلَّ بهم لمجرد أنهم نطقوا بآرائهم، وبعضهم عندهم بيانات منشورة ومطبوعة يئنّون من الجور! وانحراف عقائدي وهو أخطر أنواع الانحرافات، فضلًا عن الانحراف السياسي والاجتماعي، والفساد في الدولة، فهو نظام يدعو إلى التصوف والعرفان الباطل وعقيدة وحدة الوجود والموجود[١].

يقول لك كيف تتكلم عن السيد القائد؟ والجمهورية الإسلامية حلم الأنبياء، والتي الحفاظ عليها كما أفتى الخميني أولى شرعًا من الحفاظ على حياة إمام الزمان[٢]!

■ مشكلة المخالفين انتقلت لنا!

عينًا نفس المشكلة التي وقعت عند المخالفين انتقلت لدينا، في حين أن التشيّع كان

(١) نظريتان كفريتان يعتقد بهما الخميني وساهم في ترويجهما في كتبه، وللفقهاء فتاوى في شأن نجاسة من يعتقد بهاتين النظريتين.

(٢) في حديثٍ مع السيّد محمود الهاشمي: «**حقّق الإمام الخميني حلم الأنبياء**»! (راجع صحيفة لواء الصدر، العدد ٤٤٤). وقال الخميني: «**أن صيانة الجمهورية الإسلامية أهم من الحفاظ على حياة شخص واحد ولو كان إمام العصر**»! (صحيفة الإمام، ج١٥، ص٣١٩). وله تسجيل صوتي مُسجَّل بالفارسي يقول فيه: «**حفظ جمهورى اسلامى از حفظ يك نفر ولو امام عصر باشد، اهميتش بيشتر است**»!

على بينونة مع الحكومة، وعلماءَنا (رضوان الله عليهم) كانوا يتحرّجون من التعاطي مع السلاطين، بل حتى مع الحكومات التي كانت شيعية في ظاهرها؛ خوفًا من أن يغدو الأمر إلى مثل هذا، وقد غدا اليوم، وصار ديننا دين الحكومة يتشكل على حسب توجهات الدولة؛ حتى يصبح شخصٌ كشافيز حاكم فنزولا من الصلحاء ويجب أن تقرأ الفاتحة وتنكّس الأعلام في يوم وفاته ويعلن الحداد[1]! ويذهب رئيس الجمهورية إلى هناك يقبل جثمانه وتابوته، ويبكي ويتأثر، ويصدر بيانًا يقول فيه أنه سيرجع فيما بعد مع المسيح (عليه السلام)، ويقيم العدل والحرية والسلام! أصبح المقياس من كان مع النظام حتى وإن كان كافرًا زنديقًا لا بد أن نضعه على رؤوسنا، ومن كان مخالفًا للنظام وإن كان مرجعًا عادلًا جامعًا للشرائط يجب أن ندوسه!

مثال آخر؛ ميشيل عون اللبناني قائد التيار الوطني الحر الذي قال عنه حسن نصر الله بأنه حالة صهيونية[2]، أي أنه مع الصهاينة، وحين سافر ميشيل عون إلى فرنسا ورجع بعدها إلى لبنان، قضت التوازنات السياسية داخل لبنان أن يتحالف مع ما يسمى بحزب الله، وصار بعد ذلك التصويت له تكليفًا شرعيًا! وأصبحت إذاعة المنار[3] ليل نهار تمتدح بميشيل عون! كان البارحة عميلًا لإسرائيل، واليوم صار التصويت له تكليفًا شرعيًا!

مثال آخر؛ شيخ بكري سلفي لبناني خبيث وقذر اسمه فتحي يكن؛ كانت له تصريحات ضد الشيعة والرافضة وفي تكفيرهم، وله تصريحات في مدح أسامة بن لادن،

---

(١) إيران تعلن الحداد العام على وفاة تشافيز. راجع: yjc.ir/ar/news/862

(٢) جريدة النهار بتاريخ ٦/ ١١/ ١٩٨٩م: «**أما أن ميشيل عون مشكلة، فلأنه حالة إسرائيلية صدامية وتدميرية ولا يرى إلا مصالحه الشخصية ومصالح طائفته**».

(٣) القناة الرسمية الناطقة باسم حزب الله.

أصدر حسن نصر الله بيانًا للصلاة خلفه؛ متناسيًا كل مواقفه ضد التشيّع؛ فقط لأنه وقف مع حزب الله!

مثال آخر؛ مؤسس حماس أحمد ياسين، كانت له مواقف معادية للتشيّع، بل إن حركة حماس منبتها ناصبي، وأدبياتها الصادرة عنهم لدي؛ تكفر الرافضة وتطعن بهم، وتذم الشيعة وطقوس الشيعة **(الشعائر الحسينية)**. وأقام لعدي وقصي فاتحة، ومواقفه اتجاه صدام فيها تمجيد، ومتناغم مع تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن وأيمن الظواهري، نتفاجأ بأنه لما هلك أحمد ياسين إذْ "بولي أمر المسلمين الإمام" الخامنئي يصدر بيانًا طويلًا عريضًا مترحمًا عليه، ويصفه بشهيد الأمة الإسلامية العظيم[١]! الآن دع عنك ما قاله عن الشيعة، فإن أقل ما يُقال فيه أنه مات ميتة جاهلية ولم يعرف إمام زمانه[٢]؛ فكيف يصبح شهيدًا؟!

(١) راجع: alwelayah.net/?p=14828

(٢) روى ثقة الإسلام الكليني، ج٢، ص٢١، بسنده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية**».

(٢)

دولة الأكارم.. حكم الاجتهاد لا حكم الله[١]

■ تحصين دولة الأكارم بالعدل

تحدّثنا غير بعيد عن دولة الأكارم في مقابل دولة الأوغاد، هاتان دولتان تحدّث عنهما سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) كما رواه الآمدي في الغرر، أما وصفه لدولة الأوغاد ففي قوله (عليه الصلاة والسلام): «**دولة الأوغاد مبنية على الجور والفساد**»، وأما دولة الأكارم فتلك التي وصفها أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) بقوله: «**دولة الأكارم من أفضل المغانم**»، وانطلقنا في المحاضرة الأولى التي رُمْنا فيها البحث عن هذه الدولة فيما يمكن أن نَسْتَشِفه من روايات أئمتنا (صلوات الله عليهم) وأقوالهم وتوصياتهم لملامح هذه الدولة؛ فقلنا إن قوام هذه الدولة هو العدل، وذلك لقوله (عليه الصلاة والسلام): «**ما حُصِّن الدول بمثل العدل**». فلو افترضنا أن بإمكاننا نحن شيعة أهل البيت أن نؤسس دولة في زمان الغيبة تأسيسًا على قاعدة «**إنه لا بد للناس من أمير برًا كان أو فاجرًا**»؛ فلا بد من أن نحرص على أن يكون الأمير أو الحاكم برًا، ونحرص أن تكون هذه الدولة ما استطعنا دولة عدل حتى تُحَصَّن، هذا كان كلامنا في الجزء الأول من أجزاء البحث

---

(١) أُلقيت في غرّة شهر رجب المرجب ١٤٣٤ هـ.

عن هذه الدولة.

■ الضمانة لبقاء دولة الأكارم

وفي هذا الجزء الثاني نحن نحاول أن نستشف مزيدًا من ملامح هذه الدولة؛ فنقول إن هاهنا حديثًا عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) رواه الآمدي أيضًا في غرر الحكم، وينبغي أن نتوقف عند هذه المقولة مليًا؛ إذْ أنها تُعطينا ما يمكن أن يُشكِّل ضمانة لبقاء دولة الأكارم، يقول: «**يُسْتَدَل على إدبار الدول بأربع؛ تضييع الأصول، والتمسّك بالغرور، وتقديم الأراذل، وتأخير الأفاضل**»[1].

هذه أربعة أمور لو ظهرت كصفات لدولة ما فإن هذه الدولة تكون في طريقها إلى أفول وزَوال، ويمكن أن تهدم الدولة وتنسفها ولو شيئًا فشيئًا، وهذا هو معنى الإدبار هاهنا.

■ التراجع عن الأصول يؤدي إلى الأفول!

أما الأوليتان فلن نتوقف عندهما كثيرًا؛ لأن مبحثنا في هذا الجزء يتعلَّق بالأخيرتين أكثر، ولكن مرورًا سريعًا على الأوليتين نقول؛ إن بعض الدول التي تتأسس بعنوان أنها تتأصل بأصول ولو ادعاءً نراها تنهار، فمتى بدأت تلك الانهيارات؟ إنها بدأت حين تلاعبت تلك الدول بأصولها؛ فضيَّعتها، يكون مثّلا أساس وأصل تأسيس هذه الدولة التزامٌ بمبدأ معيَّن من مبادئ الإسلام، وإذا بها بعد بُرْهَة من الزمن حين تكتشف الواقع البراغماتي الذي يُحتِّم عليها التنازل عن هذا الأصل، والتعاطي مع الواقع كما هو، تتخلَّى عن تلك الأصول، فيكون بذلك قد كتبت على نفسها شهادة الوفاة عاجلًا أم آجلًا!

هو تحدٍ كبير لا شك، فمن الذي يستطيع أن يلتزم بمبدأ الدولة إلى الأبد؟ لا تجدون

(١) غرر الحكم، ح١٠٩٦٠.

في التاريخ الإنساني دولة التزمت بأصولها منذ البداية حتى النهاية إلا دولة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ودولة أمير المؤمنين، والإمام الحسن (صلوات الله عليهم)، هذا في عهد الإسلام، وأما قبل عهد الإسلام فلك أن تبحث في بعض دول الأنبياء ولا أقول كلها؛ لأن بعضًا من دول الأنبياء تأسست على قاعدة الميسور لا يُتْرَك بالمعسور[1]؛ كدولة يوسف (عليه الصلاة والسلام).

قد نقول إن دولة سليمان ومِن قبله داوود مثلًا كانت دولة على الأصول كلها، أما بعض دول الأنبياء كانت على تلك القاعدة؛ أي بمعنى أنها لم تكن على كل الأصول، ولم تكن بحذافيرها دولًا دينية متديّنة بما للكلمة من معنى؛ لأن هذا ما كان المتاح.

يوسف (عليه الصلاة والسلام) كان يحكم تحت لواء ملك كافر، فلذا نقول؛ إن مسألة تضييع الأصول مسألة حرجة للغاية، دولة قد تتأسس على أساس أن أصلها إسلامي، وتطبِّق الشريعة مثلًا، ولكن ما هي إلا أيام وأشهر وسنوات وتجدها قد ارتدَّت عن هذا الأصل؛ فمجرّد تراجع الدولة عن أصولها يؤدي إلى أُفولها، فاعلم أن هذه الدولة سترحل حتى وإن طال بها الزمن قليلًا، بالنتيجة ستنهار.

■ التمسُّك بالغرور فيه إدبار الدول!

كم من دولة حُكَّامها اغتروا بما لديهم، وبعضهم صاروا ملوكًا عظماء يملكون الشرق والغرب؛ فيغتر الحاكم، ويظن أنه قوة لا تُقْهَر، وإذا به في لحظة واحدة ينهار!

كان الشاه المقبور مثلًا حاكمًا لا يضاهيه أحد في منطقة الخليج، ومَرْضيًا عنه من قبل الدول الكبرى، وكان في الوقت ذاته يملك أساطيلًا وجيوشًا، وكان له من هيبة السلطان

---

(١) قاعدة فقهية. راجع: غوالي اللئالي، ج٤، ص٥٨. وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «**لا يترك الميسور بالمعسور**».

والشاهية والملك ما كان يجعل حتى رؤساء العرب وأمرائهم يظهرون أمامه كالعبيد! أنتم فقط لاحظوا كيف كان يتعامل هؤلاء الملوك والأمراء مع شاه إيران السابق، وحتى في الاستقبالات الرسمية كأنك تتحدث عن ملك وعبد، الصورة هكذا تظهر!

الشاه كان مغترًا، والناس كانوا يُطأطئون رؤوسهم لكي يقبِّلون رجليه، وكانت هذه العادة من المراسيم الشاهية! بل حتى الرؤساء ووزراء الحكومات يقبلون رجليه! فاغتر بنفسه وإذا به يسقط!

حسني مبارك كذلك اغتر بنفسه، حيث كان يحكم مدة خمسة وعشرين سنة أو أكثر، والقذافي هكذا! دول حديدية جبّارة وعملاقة أتاها ما أتاها من الانهيار من مثل شباب ذهبوا وراء (**فيسبوك**)! فإذًا؛ الحكم الذي يغتر بنفسه ينهار.

■ تقديم الأراذل يؤدي للخسران!

الدول التي تُقدِّم الأراذل هي دول مُدْبِرة لا مُقْبِلة وإن اشتدَّت سطوتها في حين من الأحيان، وإن استقْوت في زمن من الأزمان تبقى دولة خاسرة مدبرة ومنهارة ما دامت أخَّرت الأفاضل، والعادل والكفوء، والتقي والصالح، والأعلم، وقدَّمت من الأراذل وجعلتهم هم الحُكَّام، وهم الذين يَسْطون ويتلاعبون في كل شيء.

هذه تؤدي في جملة ما تؤدي إليه إلى تحوّل الدولة إلى دولة مهلهلة منهارة مفككة مع مرور الوقت؛ لأن الحاكم لا يكون على الأقل بمستوى الحكم، وهذه تنسحب على سائر الأبعاد الأخرى.

إن إحدى أكبر مآسينا في المنطقة كالعراق على سبيل المثال هي تقديم الأراذل وتأخير الأفاضل، هل الحكومات التي هي موجودة - بالله عليكم - هي من الأفاضل أم من الأراذل؟ هذا ما يؤدي بنا إلى التقهقر والتراجع والإدبار.

حتى لو افترضنا أن عندنا صالحين، ولكن أحدهما أصلح من الآخر وأفضل منه، إن قدمت المفضول فاعلم أنك ستنهار، ووضع الأمة سيرجع إلى سَفَال!

يروي ابن عقدة الكوفي خبرًا عن سيدنا ومولانا السبط الأكبر الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) في احتجاجه على معاوية (لعنه الله)، ومن جملة ما ذكره حديثًا عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**ما وَلَّت أمة أمرها قَطْ وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يَزل أمرهم يذهب سَفَالًا حتى يرجعوا إلى ما تركوا**»[1]!

لنفرض أن عندنا عالمين، وأن كليهما صالح عدل تقي، وذا كفاءة، وراشد عاقل، ولكن أحدهما بالضرورة يكون أعلم من الآخر وأعدل منه، فإذا قدمنا المفضول على من هو دون الأول فإن أمرنا سيذهب سَفَالًا!

فإذا تأسست دولة الأكارم لا بد أن نفتِّش عن الأعلم والأعدل والأفضل لنوليه، أيًا كانت صيغة الحكم، ولو افترضنا اعتمادَ صيغة المجدد الشيرازي الثاني وهي شورى الفقهاء المراجع[2] لا بد أن يكون هؤلاء الأفضل الأعدل، أما أن يتولون الحكم من هم دون الآخرين في العلم والفضل والتقى والصلاح هذا يجعلنا نتقهقر ونرجع للوراء ونتسافل، وتتضعضع أمتنا يومًا بعد يوم!

نجد قيادات هنا وهناك؛ من الواضح ولا شك ولا ريب أن هناك من هو أفضل - هذا إن سلَّمنا أنها قيادات صالحة -؛ فلِمَ لم يسلم زِمام الأمور لهم؟!

الآن عندنا إيران، هل الذي يحكم إيران هو الأفضل - إن سلَّمنا أنه صالح - هل هو

---

(١) الولاية، لابن عقدة الكوفي، ص١٨٨.

(٢) للسيد مرتضى الشيرازي كتاب بعنوان: «**شورى الفقهاء**». يشرح فيه نظرية والده في شورى الفقهاء المراجع.

الأعدل والأعلم؟ كلّا وحاشا! فهذا يؤدي بالأمة إلى سفال! انظر إلى وضع شعب إيران بشكل عام؛ تجد أن الطبقة الصاعدة من الشباب والمراهقين يكرهون أي عمامة تسير في الشارع! هذا الشعب يومًا بعد يوم يذهب أمره إلى سفال لعدم الالتزام بكلام رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الدولة الإسلامية من يوم السقيفة يذهب أمرها إلى سفال؛ لأنها أَخَّرت الأفضل وولَّت الأرذل كابن أبي قحافة (لعنه الله) الذي هو من أرذل المنافقين من قريش، وتركت أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)؛ فذهب أمرها إلى سفال، وهي التي كانت في عصر النبوَّة قائدة الأمم بشكل عجيب، والآن أصبحت مقطَّعةَ الأوصال، وذليلة حقيرة، ومهزومة متخلِّفة، يتلاعب فيها الشرق والغرب بشكلٍ يبعث على العار! هذه الأمة العملاقة التي تناهز المليار مسلم لا تستطيع أن تكنس دويلة غاصبة وهي **(إسرائيل)** التي تأسست في فلسطين! لِمَ هذه الأمة غير قادرة؟ لأنها ملتزمة بولاية أبي بكر وعمر وعائشة فأنَّى ينصرها الله (عزَّ وجل)؟!

إذًا هذه لمحة مهمة من ملامح دولة الأكارم؛ الحرص على تقديم الأفضل والدفع به دائمًا أيًا كانت صيغة الحكم.

■ تقديم الأفضل وفق الأصول

أيضًا لا بد من بيان شرط؛ إن تقديم الأفضل والأعدل والأكفأ والأعلم لا بد أن يكون على الأصول لا على خلاف الأصول، وبعبارة أخرى؛ قد يُنْظَر إلى شخص ما على أنه أعلم وأفضل، لكنه غير منسجم مع أصول الدولة، بل ويمكن أن يُحرِّف مسار هذه الدولة؛ هنا لا يكون التزمًا بكلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تقديم الأفضل؛ لأن هذا الذي يزعم أنه أفضل إنما هو مُضيِّع للأصول، فلا بد أن يُتَحاشى مثل هذه الأمور!

بعبارة أخرى الدولة حين تأسس أولًا تقول هذه أصول الدولة، فمن يكون منسجمًا مع هذه الأصول مؤمنًا بهذه الأصول يؤخذ منهم من هو أفضل وأعلم فَيُولَّى ويُقدَّم إلى الصدارة، أما الآخرون غير المنسجمين في هذه الأصول فلا يصح أن نقدمهم بطبيعة الحال.

■ دولة وظيفتها المناداة بالولاية والبراءة

مثلًا تأسست دولة الأكارم، وجعلت من أولى أولوياتها ومهامها أن تنادي بالولاية لآل محمد (عليهم الصلاة والسلام) والبراءة من أعدائهم، وهذا طموح لدى شباب الأمة في هذه الأيام، يحلمون أن تكون لنا دولة هكذا ممهِّدة لإمامنا (صلوات الله عليه)، ووظيفتها الأساسية هي المناداة بالولاية والبراءة ونشرها في كل العالم، وترعى حملات التبليغ، وتحمي الشيعة والمتشيعين؛ حتى نستطيع أن نتنفس ونعيش؛ لأن الشيعة والمتشيعين يصرخون خاصة في الدول المُسْتَبِدة والظالمة ولا من مغيث، ولا يجدون لهم من يحميهم، كما تحمي دول ومنظمات ومراكز قطبية نفوذية في العالم أمثال النصارى واليهود والبوذيين؛ فالشيعي يُعاني من هذه المشكلة، يستشعر أنه لا ظهر ولا سند له، ولا حامي له إلا الله (تبارك وتعالى) وكفى بالله حاميًا، ولكن الدنيا دار أسباب.

متى سيستشعر الإنسان الشيعي المصري واللِّيبي والجَزيري المضطهد الذي تشيَّع أن لديه قوى وحكومات تدافع عنه؟ أما أيام المد الأحمر الشيوعي نجد أن الشخص الذي كان يصبح شيوعيًا يجد مثل موسكو - الاتحاد السوفيتي بهيمنته يدافع عنه!

فبعد تأسيس دولة الأكارم لا بد أن لا نولِّي من يزعم أنه أعلم وأكفأ وأفضل ويجرف هذه الدولة إلى مسارات أخرى كإلى البترية مثلًا ببتر الأصل الثاني؛ لأنه مضيع للأصول.

■ مشكلة الدول الدينية الحكم باسم الله!

مشكلتنا في الدولة الدينية عمومًا هي أنها حين تحكم تزعم أن حكمها هو حكم الله

المطابقي، وتدَّعي أنها تطبق شريعة الله (عزَّ وجل)، فمن يخالف يصبح في دستور وقانون وعرف أنصار هذه الدولة كافرًا أو زنديقًا أو خارجًا عن الدولة فتبًا له؛ فيأتيهم إما السيف أو يودعون في السجن! فبذلك يحدث شرخ سياسي أو اجتماعي يؤدي إلى انهيار الدولة؛ لذا يقال أن الدول الدينية غير تسامحية ولا تستطيع أن تتعامل مع المعارضة؛ لأنها تعتبر المعارضة تعارض حكم الله، ومن يعارض حكم الله كافر، **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾**[1]!

في حين أن جُل هذه الدول وقوانينها إن فحصناها جيدًا نجد أن أحكامها وقوانينها اجتهادية، لا يمكن أن يقال بملء الفم أنها مطابقة لحكم الله مئة بالمئة! فلا بد أن تقول هذا حكمي واجتهادي قد يكون موافقًا لحكم الله وقد لا يكون لأني لست إمامًا معصومًا، وليس يبلغني أمر السماء؛ فبالتالي يفتح الباب أمام المعارضة ويكون هنالك هامش تسامحي واضح يحافظ على هذه الدولة من الانهيار، ولا يتسبب في شروخات سياسية تؤدي إلى مضاعفات لا يحمد عقباها.

نموذج آخر؛ في بداية أيام الثورة لمّا تأسس النظام الإيراني الحالي، طرح ذلك المؤسس ولاية الفقيه المطلقة؛ فكانت هنالك جبهات معارضة دينية وغير دينية، بل حتى من داخل الحوزات العلمية كانت هنالك معارضات؛ لأنهم لا ينسجمون مع هذا الاجتهاد، والذي حصل هو قمع لكل من خالف هذه النظرية والظن الاجتهادي[2]، حتى لو كان المخالف من

---

(١) المائدة: ٤٥.

(٢) كالذي تعرّض له الإمام الشيرازي الراحل من ظلامات وانتهاكات، والسيد حسن القمّي، والسيد صادق الروحاني، والسيد الشريعتمداري، والسيد حسن القمي، والسيد صادق الروحاني، والرستكاري الذي اعتقل وسجن عدّة مرات دونما احترام لمقام المرجعية! ومؤخرًا اُختطِف المسئول الإرشادي في الحرس

أكابر مراجع التقليد العدول!

خرج[١] على التلفاز بطريقة ملؤها الشدة والغلظة يتحدث عن أن هذا الحكم هو حكم القرآن فكيف تخالفونه[٢]؟! حتى أن بعض المنخدعين كانوا قد تأثروا وبَكوا بحكم أنها صارت إهانة للقرآن، ثم يهتفون الموت لمعارضي ولاية الفقيه (**مَرگ بر ضد ولايت فقيه**)، وهذا إلى الآن من شعاراتهم، أولها الموت لإسرائيل وأمريكا، وثانيها الموت لمعارضي ولاية الفقيه، مع أنَّا نذهب لولاية الفقيه لكن ليست الولاية المطلقة[٣]، إلى هذه الدرجة نحن نقترب، ولكن مع هذا نقول لعل الحق يكون في غير ولاية الفقيه؛ فليس لأحد الحق أن يحتكر الإسلام إلا أن يكون إمامًا معصومًا، وغيره ليس له أن يحكم أن ذلك حكم الله والقرآن بضرس قاطع، ويجعلنا خارج الملَّة ويشهر سيفه! هنا ينتفي التسامح؛ فيقع الافتراق والشروخات والتصادمات مِمَا يؤدي إلى الانهيار فيها بعد، فلا بد من ترك مساحة من حرية الاجتهاد، والسماح للمعارض أن يخالف ويعارض، وإن دولة الأكارم إن تأسست ينبغي ألَّا يقعَ فيها مثل هذه الإشكالات في المستقبل حتى لا تكتب على نفسها شهادة الوفاة!

الثوري الإيراني المنشق السيد محمد علي الموسوي من قبل عناصر حزب الله في لبنان لانتقاده النظام الإيراني وولاية الفقيه.

(١) يعني الخميني مؤسس الجمهورية "الإسلامية" الإيرانية.

(٢) راجع: صحيفة الإمام، ج١٤، ص٣٥٤ – ٣٥٥.

(٣) الولاية ثابتةٌ لجميع الفقهاء – مِمَن استوفت الشرائط فيهم – بلا ريب، يستمدها الفقيه بقوّة الشريعة، وبعضٌ مددها وبعضٌ ضيّقها حسب استيعابهم للروايات الواردة والتوفيق بينها، أما جناية الخميني هي أنه وسّع الولاية للفقيه وأعطاها مالا تحتمل، حتى صارت دكتاتورية تعسفية استقلالية إلغائية!

■ لا تزعم أن حكمك هو حكم الله

إن الشريعة حثّتنا إذا ما حكمنا أن لا نزعم أن هذا حكم الله، بل نقول هذا حكمنا، هكذا أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكم آسف أن هذا المبحث الدقيق غير مبحوث ومتناول، ففي حديث شريف معتبر غير ملتفت إليه حتى في الصنعة الفقهية، في الكافي الشريف لثقة الإسلام الكليني (عليه الرحمة والرضوان)، يروي بسنده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله الصادق (عليه الصلاة والسلام) قال: «**إن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا بعث أميرًا له على سرية، أمره بتقوى الله عزَّ وجل في خاصة نفسه، ثـم في أصحابه عامّة، ثم يقول: اغز بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ولا متبتّلًا في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجـرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم يؤكل لحمه إلاّ ما لابد لكم من أكله، وإذا لقيتم عـدواً للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فإن هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم: ادعوهم إلى الاسلام، فإن دخلوا فيه فاقبلوا منهم وكفّوا عنهم، وادعوهم إلى الهجرة بعد الإسلام فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختاروا ديارهم وأبوا أن يدخلوا في دار الهجرة، كانوا بمنزلة أعراب المؤمنين يجري عليهم ما يجري على أعراب المؤمنين، ولا يجري لهم في الفيء ولا في القسمة شيئًا إلاّ ان يهاجروا في سبيل الله، فإن أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عزَّ وجل عليهم وجاهدهم في الله حق جهاده، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك على أن ينزلوا على حكم الله عزَّ وجل، فلا تنزل بهم ولكن أنزلهم على حكمكم ثم اقض فيهم بعد ما شئتم، فإنكم إن أنزلتموهم على حكم الله لم تدروا تصيبوا حكم الله فيهم أم لا، وإذا حاصرتم أهل حصن فإن**

آذنوك على أن تنزلهم على ذمة الله وذمة رسوله، فلا تنزلهم ولكن أنزلهم على ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم آبائكم وإخوانكم كان أيسر عليكم يوم القيامة من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وآله»[1].

لاحظوا كيف النبي يوصي في هذه الحكومة المصغرة مع أنها تُطبِّق حكم الله والنبي حي والاتصال به ممكن، ومع ذلك النبي يقول لهم إياكم تقولوا هذا حكم الله وقولوا هذا حكمي؛ لأنكم لا تدرون قد يوافق حكم الله وقد لا يوافق.

■ الوصايا المحمدية الأخلاقية في الحروب

ولاحظوا الوصايا الأخلاقية التي دعا لها النبي (صلى الله عليه وآله)، والتي كانت حروبه أنظف الحروب في تاريخ البشرية! يوصي بالمحافظة على البيئة، ولاحظوا ما فعل صدام حين حرق آبار النفط وصنع كارثة بيئية[2]، وحتى الجيوش الغربية التي تدَّعي حكوماتها أنها حكومات متحضرة لا نجدهم يُلقِّنون الجندي حين يريد أن ينطلق إلى حرب أن يحافظ على البيئة؛ فهذه مشكلة الاحتباس الحراري الذي يعاني منه العالم بسبب أمريكا ومصانعها وتجاربها النَّووية، حتى أنهم لم يوافقوا على الاتفاقية الدولية لتخفيض الاحتباس الحراري[3]؛ لأن ذلك في غير صالحها العسكري والصناعي والاقتصادي، لا مشكلة لديهم في أن يدمرّوا كوكب الأرض من أجل أن يبقى الدولار دولارًا!

أما نحن فعندنا منهاج محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، حيث يقول في حديث

---

(١) الكافي الشريف، ج٥، ص٢٩.

(٢) في حربه على الكويت، ٢/ ٨/ ١٩٩٠م.

(٣) اتفاقية باريس، ١٢/ ديسمبر/ ٢٠١٥م.

آخر عجيب: «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها**»[1]! إلى هذه الدرجة الحرص على تخضير وتشجير الأرض، والمساهمة في نمو البيئة الصحية للأرض، ومن المؤسف أن مثل هذا الخطاب غير ظاهر عن رسول الإسلام للمجتمعات الغربية الذي كان هكذا حرصه على تخضير العالم، ومراعاة حقوق النبات والحيوان والجهاد أيضًا!

وكان من دعواه كذلك أن يهاجروا إلى المدينة المنورة؛ حتى يربيهم ويعلّمهم ولا يبقون في طيَّات الجهل والظلام في أطراف الجزيرة، فإن أبوا الإسلام والهجرة فدعى إلى دفع الجزية؛ وهو مقدار من المال لقاء حماية الدولة الإسلام له؛ لأنه لا عدالة في أن يبقى متمتعًا في ظل الحكم الإسلامي ولا يدافع عنها إذا ما تعرضت إلى عدو خارجي؛ لأنه ليس عليه وجوب الجهاد.

في زماننا هذا يحاول أعداء الإسلام أن يصوِّروها بصورة بشعة، ويقولوا أن هذا تمييز من قبل الإسلام؛ لأن المسلم لا يدفع الجزية وغير المسلم يدفع، أما في الواقع؛ فالمسلم عليه أن يدفع ثلاثة أصناف وهي الزكاة والخمس والخراج كضرائب مالية عليه، وغير المسلم عليه أن يدفع الجزية فقط!

■ أحكامنا فيها نسبة من الترديد

رسول الله يأمر الأمراء إذا ما حاصروا أهل حصن أن يحكموا فيهم باختيار واحدة من أربع، وأن لا يقولوا هذا حكم الله؛ لأنهم قد يصيبون حكم الله فيهم أو لا.

هذا الأمر من قبل النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) يدلنا على أن هنالك نسبة من

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري، ج١٣، ص٤٦٠ عن درر اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي (رحمهما الله).

الترديد في أحكامنا، فحتى مرجع التقليد لا يجزم ويقطع ويقول هذا حكم الله في الرسالة العملية، إنما يقول هذا ما بلغ إليه اجتهادي وظنّي، والعمل بها مجزئ ومبرء للذمة فقط، فكيف في نظام الحكم وبه يسير أمر الأمة جمعاء، فإنا لا نعلم هل أن حكم الله ولاية الفقيه أم شورى الفقهاء المراجع أم الإدارة المدنية المنتخبة في زمان الغيبة.

فإذًا هذه لمحة أخرى مهمة جدًا من ملامح دولة الأكارم بأن لا تدَّعي أنها صاحبة الحق الإلهي المطلق، وعليها أن تقول أنها تسعى إلى الحكم الإلهي، وتحرص على تطبيقه، ولكن حيث أن الأمر اجتهادي؛ فهنالك حرية واسعة في المعارضة والاختلاف، ونترك هامش من الحرية في تعيين آليات الدولة وأنظمتها وقوانينها وتشريعاتها وأحكامها.

(٣)

دولة الأكارم.. الدولة المحفِّزة[١]

■ كتاب الإمام الصادق للنجاشي

كان الكلام في ملامح دولة الأكارم التي هي من أفضل المغانم كما قال سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، وقد قدَّمنا في الجزء الأول من بحثنا هذا أن من أهم ملامح هذه الدولة رفع الظلم والذلة عن أولياء آل محمد (عليهم الصلاة والسلام) أي شيعتهم ومحبيهم.

وقد مرَّ معنا كتاب إمامنا الصادق (صلوات الله عليه) لعبد الله النجاشي حاكم الأهواز في عصر المنصور الدوانيقي (لعنه الله)، استكْتَبَ النجاشي الصادق (عليه السلام) مُستَوصيًا يطلب وصاياه؛ فكان من جملة ما كتب له الصادق (عليه الصلاة والسلام) كما رواه شيخ الطائفة الطوسي (عليه الرحمة والرضوان) قوله (صلوات الله عليه): «**وأما سروري بولايتك فقلت عسى أن يغيث الله بك ملهوفًا خائفًا من أولياء آل محمد عليهم السلام ويعز بك ذليلهم ويكسو بك عاريهم ويقوي بك ضعيفهم ويطفي بك نار المخالفين عنهم**»[٢].

---

(١) أُلقيت في السابع من شهر رجب المرجب ١٤٣٤ هـ.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٩٠.

■ لا للخضوع لهذا الواقع!

نقول انطلاقًا من هذا النص إن مشكلتنا نحن الشيعة بشكل عام في البعد السياسي والاجتماعي أنَّا مع الأسف كَتَبَ علينا القدر أن نعيش مظلومين مضطهدين، وما هذا إلا لتمسكنا بعروَة أهل البيت الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام)، وإن كان القدر قد كتب علينا هذا فإنه لم يكتبه على نحو الحتم، وإنما على نحو الاقتضاء؛ بمعنى أن لنا أن نسعى لتغيير هذا القدر إلى قدر آخر، فلسنا بحاجة إلى أن نبقى إلى الأبد أذلاء ومظلومين!

نعم ورد في الروايات ما يُفيد أن الشيعي لا بدَّ أن يستعد للظلم «**من أحبنا أهل البيت فليستعد عدَّة للبلاء**»[1]، «**من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جِلْبابًا**»[2]، «**والله! البلاء والفقر والقتل أسرع إلى من أحبنا من ركض البراذين، ومن السيل إلى صِمْره، ولولا أن تكونوا كذلك لرأينا أنكم لستم منا**»[3]! «**القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة**»[4]، ونحو ذلك من أمور، وهذا كله صحيح، ولكن ليس معنى ذلك الخضوع لهذا الواقع إلى الأبد؛ فلا بدَّ أن نسعى إلى تغييره وهذا ممكن، يمكن لنا على الأقل أن نَجِدَ لأنفسنا مساحة من العيش الكريم مُتَجنبين ما يقع علينا من المظالم والاضطهادات.

■ تأسيس الدولة لنعيش كرماء

لا شكَّ ولا ريب أن من أهم ما يمكن أن يرفع عنا هذا الظلم والجور، ويجعلنا نتنفس ونعيش كما يعيش غيرنا هو تأسيس الدولة وإقامة حكم نعيش في ظِلِّه كُرَماء محترمين غير

---

(١) الغارات للثقفي، ج٢، ص٥٨٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١١٢.

(٣) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٤٦.

(٤) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٨٨.

أذلاء بل أعزاء، وبحثنا إنما يدور في هذا المدار في واقع الحال في أنه هل بإمكاننا أن نسعى لتحقيق نموذج يُعطينا شيئًا من الحرية والعدل، ولا نتحدث على نحو الإطلاق؛ فإن الحرية والعدل المطلق بيد إمامنا صاحب الأمر (عليه الصلاة والسلام)، وإنما نتكلم عن الحرية والعدل النسبيين الذين يُمكِّنانا من العيش.

■ العيش هو بأن تتولى من تشاء وتبرأ ممن تشاء!

هذا حديث شريف عن إمامنا الصادق (صلوات الله عليه) إذْ دَخَل عليه قوم من شيعته من الكوفة والإمام في المدينة، فقال لهم: «**هل تجلسون وتتحدثون وتتولون من شئتم وتتبرئون ممن شئتم؟ فقالوا: بلى يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام: وهل العيش إلا هكذا؟**»[1]!

العيش بالنسبة إلينا نحن الشيعة هل هو إلا أن تكون لنا حرية في أن نتولى من نشاء ونتبرأ مِمَن نشاء؟ حرية الموالاة والمعاداة التي تنطلق من حرية الاعتقاد والتعبير والرأي والفكر؛ فنحن قوم نريد أن نعيش، فالشيعي لا يريد إلا أن يشعر بأنه إنسان له ذات الحقوق التي هي للإنسان الآخر، وأن يكون له حق كما للآخر حق، ولا يطلب الشيعي أكثر من هذا! كما أن الآخر يُجاهِر بعقيدته، الشيعي كذلك يطالب بأن يُجاهِر بعقيدته، وإن كان في بعض خصوصياتها أو حيثياتها تتناقض مع عقيدة الآخر، فكل العقائد تتناقض وتتباين وتتضارب وتحتك؛ لأن فيما بينها تناقضات لا يمكن الجمع فيما بينها، فعجبًا لماذا يسمح لأهل العقائد الأخرى أن يُعبِّروا عن عقيدتهم وأن يُجاهِروا بها مع ما فيها من مناقضة للآخر إذْ يُقال لكلٍّ عقيدته؟! لماذا الشيعي محكوم عليه أن يصمت ويسكت؟!

يقولون أنت إن تكلَّمت تسيء لعقائد الآخرين، عجبًا! كل العقائد الأخرى تسيء

(١) الكافي الشريف، ج٨، ص٢٢٩.

للآخرين، ما من عقيدةٍ إلا وتنبني على هدم العقائد المخالفة لها، وتثبيت عقيدتها ونفسها؛ فَلِمَ يسمح للآخرين بالمجاهرة بعقائدهم ولا يسمح للشيعي، ويُطالب دائمًا بأنْ يصمت ويسكت؟! كأنه يُعامَل على أنه إنسان من درجةٍ أدنى!

إن هذا الواقع لا بدَّ أن نغيّره، وأنَّى له أن يتغيَّر بغير سلطة وقدرة؟ ففي عالمنا هذا من يُغيِّر هو ذو القوَّة والسلطة والقدرة، فإن لم تكن لديك سلطة أو قدرة أو قوة فلا إمكانية للتغيير، والقوة لها أوجه ومصاديق، فلا تنحصر القوة بقوة اليد مثلًا، يمكن أن تكون القوة قوة اللسان والبيان والسياسة والاقتصاد، ففي الدول الغربية المحرِّك الأساس لصنع السياسات والقرارات هو الاقتصاد؛ لأنها دول رأسمالية، أين نحن من تلك المصاديق للقوى؟ إننا متأخرون ومتخلفون وباقون على حالنا هذه!

فإذًا من ملامح دولة الأكارم هو أن هذه الدولة ترفع عن الشيعي القيود التي كُبِّل بها وتكسرها، وترفع عنه حال الاضطهاد والظلم ولو بشكلٍ نسبي، وتُتيح له أن يتحرر بحرية وطلاقة؛ فيجاهر بما يعتقد، وينقد، ويهاجم العقائد الأخرى كما أن أهل العقائد الأخرى تهاجمه، كل ذلك بإطار الجدل العلمي والكلامي المعتاد فيما بين الطوائف والمذاهب.

دولة الأكارم لا بدَّ أن تكون هذه هي إحدى أهم ملامحها.

■ ثلاثة لا يمكن لنا أن نستغني عنهم

هنالك حديث يرويه ابن شعبَة الحرَّاني في كتابه الشهير تحف العقول عن آل الرسول عن إمامنا الصادق (صلوات الله عليه) يقول: «**لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاثة يفزع إليهم في أمر دنياهم وآخرتهم فإن عدموا ذلك كانوا همجا: فقيه عالم ورع، وأمير خير مطاع،**

وطبيب بصير ثقة»[١].

ثلاثة لا يمكن لنا أن نستغني عنهم، وكل أهل بلد بحاجة إلى هؤلاء الثلاثة وإلا كانوا همجًا.

لا بدَّ للناس من أمير، بل هنالك أحاديث عن رسول الله وعن الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) أن «**سلطان ظلوم خير من فتن تدوم**»[٢]. لأنه إن لم يكن هنالك إمام وسلطة ونظام فحالة اللانظام في معظم الأحيان أكثر سوءاً من وجود النظام الجائر، فلو لم يكن هنالك سبيل لإقامة النظام العادل نستبقي النظام الجائر حتى لا تأتينا حالة الفوضى والفتنة الغشوم، وإن كان بإمكاننا أن نُقيم إمرة فلا شك أن المطلوبية من قبل الشارع تتجه صوب الإمرة العادلة الخيِّرة البرَّة، ولذلك يقول الإمام (عليه الصلاة والسلام): «**وأمير خيِّر**»، وقد وضع قيدًا مهمًا «**مُطاع**». لأن عادة الأمير الخيِّر لا يُطاع، أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان أميرًا خيِّرًا فتُمرِّد عليه، تمرَّدت عليه عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص والخوارج.

لِما تمرَّدوا على علي بن أبي طالب (عليه السلام) أَجارَ عليهم في شيء؟ أَسرق من أموالهم شيئًا؟ أقتل منهم أحدًا؟ كلا وحاشا، ولكن طبيعة البشر هي ألا يُطيعوا الخيّر، والجائر يُطاع!

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول، ص٣٢١.

(٢) كنز الفوائد لأبي الفتح الكراجكي، ص٥٧.

عمر بن الخطاب أُطيع طاعة عمياء، وكذلك معاوية بن أبي سفيان أُطيع[١]، وكانت فترة حكمه طوال هذه العشرين سنة حكمًا مستقرًا بلا أي نوع من أنواع التمرُّد، وأمير المؤمنين في أقل من خمس سنوات من مدة حكمه وقعت ثلاثة حروب أهلية تمردية كبرى! بل بلغ به الحال في أواخر أيامه وأيام حكمه أن يقول: «**اللّهُمَّ إنّي قَد مَلِلتُهُم ومَلّوني، وسَئِمتُهُم وسَئِموني، فَأَبدِلني بِهِم خَيرا مِنهُم، وأبدِلهُم بي شَرّا مِنّي، اللّهُمَّ مِث قُلوبَهَم كما يُماثُ المِلحُ فِي الماءِ**»[٢]! إلى هذه الدرجة!

إن طبيعة البشر تريد حاكمًا جائرًا يتلاعب بالأموال والمقدَّرات؛ لأنهم إن التزموا بالتُقى والصلاح والخير فإن تلك المراكز القوية ذات النفوذ ستتأثر وتضعف، أما أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) كان مبدأه: «**الذَّليلُ عِندي عَزيزٌ حَتّى آخُذَ الحَقَّ لَهُ، وَالقَوِيُّ عِندي ضَعيفٌ حَتّى آخُذَ الحَقَّ مِنهُ**»[٣].

فإن كان ولا بدَّ من إِمْرة فالفرض الأول أن تكون إمرة خيِّرة مع ملاحظة جانب الطاعة، ولا بدَّ أن يتحقق هذا الأمر في الإمرة الخيِّرة وإلا فلا انتفاع من هذه الإمرة، ولذلك يقول (عليه السلام): «**وأميرٌ خيِّر مُطاع**»، و«**طبيبٌ بصير ثقة**»، وأقول هذه كناية عن وجود إمرة وسلطة وقدرة في اليد تُفسِح لنا مجالًا بأن نتحرَّك ونعيش، وتُشعر إخواننا الذي يتشيَّعون أن لهم ظهرًا وسندًا يدافع عنهم.

---

(١) روى ابن كثير في البداية والنهاية، ج٨، ص١٤٠، عن معاوية (لعنه الله) أنه قال: «**ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا، وقد أعرف إنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون**».

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٣٧.

■ البيئة المُحَفِّزة

هنالك جانب آخر لا يقل أهمية عن الجانب الأول، وكلاهما في لمحة واحدة من ملامح دولة الأكارم، هذا الجانب نصطلح عليه (**البيئة المُحَفِّزة**)، فمن أهم واجبات دولة الأكارم أن تخلق البيئة المُحَفِّزة، بيئة صحية تُحَفِّز الناس على الخير والاتجاه نحو الشرعية وأهل البيت الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام)؛ ليزدادوا ولاءً واعتقادًا وطاعةً لأهل بيت النبوة، ويسعون لظهور دولتهم المرتقبة مع مهدي آل محمد، أما بالنسبة للمخالفين فهذه البيئة تساعدهم لأن يخطوا خطوات باتجاه الشرعية أيضًا أي باتجاه أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، فهي بيئة تساعد على نمو الأفكار الصالحة، وتساعد على تأليف المؤلفات التي تدافع عن أهل البيت، وتساعد على إسقاط الرموز المنحرفة عن أهل البيت والمعادية لهم؛ فنحن بحاجة لبيئة من هذا النوع.

مشكلتنا خاصةً في دولنا الأعرابية الشرق أوسطية أن هذه البيئة منعدمة، حتى في الدول ذات الأكثرية الشيعية هي منعدمة، فمثلًا دولة كالعراق أو إيران، هنالك لا تزال أجواء مرضية تمنعك من أن تتحدث بطلاقة عن أعداء أهل البيت وتسقطهم وتفضحكم وتنال وتندد بهم، وهذه البيئة لا تحفِّز على انطلاق مثل هذه الأصوات والجهود[١].

فهذه الأنظمة إن كانت بعيدة عن التشيّع فمن الطبيعي أن تخنق صوت الشيعة، وإن كانت قريبة فإنها تقدّم مصالحها السياسية على المصلحة الدينية؛ فنتيجة لا تسمح لك بالكلام، وهذا موت لا حياة!

---

(١) في إيران لا يزال البيت الشيرازي يتعرَّض لمضايقات واعتداءات، وفي العراق أُعتقل جمع من المؤمنين في الكاظمية المقدَّسة (محرم ١٤٣٦ هـ) لرفعهم رايات البراءة من قتلة أهل البيت (عليهم السلام) في الحضرة المقدَّسة!

● **النموذج الأول**:

ومثال للتقريب؛ المصنّفات التي بين أيدينا اليوم لعلمائنا الأبرار خذ مثلًا مصنفات شيخنا المفيد (عليه الرحمة والرضوان)، والفصول المعقودة في تلك المصنفات لبيان ظلم وفساد أعداء أهل البيت، مثّلا كتاب «**الجمل**» الذي هو مُركّز من أوله إلى آخره ضد عائشة، وكتاب «**الكافئة في رد توبة الخاطئة**» كذلك، وافتح كتاب الجمل ترى أن الشيخ المفيد يُخرِّج رواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول فيها: «**اللهم اجزِ عمر، لقد ظلم الحجر والمدر**»[1]!

إن هذه المؤلّفات التي نجدها للمفيد مثلًا أو للشريف المرتضى تلميذه أو لشيخ الطائفة الطوسي تلميذهما هي تراث عظيم بل من أغلى ما نملك! ولولا هذه المؤلّفات والكتب والفصول والروايات التي دُوِّنت فيها لما عرفنا حقًا من باطل! إن علماءَنا هؤلاء بذلوا كل ما يستطيعون لإيصال الحق إلينا وإلى الأجيال القادمة فكتبوا في كتبهم ما قاله أئمتنا (عليهم السلام)، فحفظوا لنا ديننا ومنهاجنا.

المناظرات والاحتجاجات التي دُوِّنت في هذه الكتب، وقد دُوِّنت عن المفيد مناظرة مع أحد علماء المخالفين في إثبات كفر عمر بن الخطاب، حتى أن ذاك المخالف اندهش وقال: «**ما كنت أظن أن أحدًا يدعي الإجماع على كفر عمر بن الخطاب**»[2]! هكذا كان المفيد بكل طلاقة وجسارة وجرأة يذبُّ عن آل محمد (عليهم السلام)، ويُندد بأعدائهم.

وهنا يطرح سؤال: هذه المصنفات والحركة العلمية النَشِطة كيف تأتت ونَمت؟ إنها البيئة المحفِّزة، ولولا وجود بيئة محفِّزة في ذلك الزمان لما ظهر لدينا المفيد ولا الشريف

(١) الجمل للمفيد، ص٩٢.

(٢) الفصول المختارة للمفيد: مناظرة الشيخ المفيد مع رجل من المعتزلة يعرف بأبي عمرو الشطوي.

المرتضى وشيخ الطائفة الطوسي، ولا مؤلّفاتهم ومصنّفاتهم.

● **النموذج الثاني**:

اقرأ تاريخ البويهيين مثًلا، الذين هم قوم متشيعون ودخلوا بغداد وحكموها وأقاموا سلطنة، حيث كانت هذه الدولة اسميًا تحت سلطة بني العباس، والحكّام الفعليين هم من آل بويه، والذي يحكم هو عضد الدولة البويهي، والخليفة رسميًا أحد رجال بني العباس، نحن لسنا نقول أن هذه دولة شرعية، ولكنها دولة رفعت الجور نسبيًا عن الشيعة وكوَّنت بيئة مُحفِّزة، ومكَّنت علماء الشيعة من أن يكتبوا ويؤلّفوا ويحتجوا ويناظروا، ومكّنتهم من أن يعقدوا حلقات العلم، ويُدرِّسوا الآخرين، فمثل هذه البيئة أليس بإمكاننا نحن أن نصنع لها مثيلًا في واقعنا؟

لا نريدكم أن تطبقوا الحق كله ولا نتوقع منكم ذلك، ولكن أقلًا انشروا لنا أجواءً تساعد على أن نتحرر ونتكلم، وتسمح لنا بأن نؤلّف ونحن مرتاحون لا نخاف اعتقالًا وقتًلا، وأن نخطب ونحن آمنون لا نخاف بعدها اغتيالًا أو إجرامًا أو محاكمةً أو محاسبة وما شاكل! اجعلوا الشيعي في بلده يشعر أنه مرتاح حينما يتحدث عن عقيدته؛ حتى ينبغ منا من ينبغ، ويصعد منا من يصعد، وتحفِّز هذه البيئة الطاقات والكفاءات، والعلماء والخطباء والناشطين والنقَّاد، وتساعدهم على الظهور إلى السطح، لا أن يبقوا إلى الأبد في السراديب والأماكن المظلمة!

إن هذه البيئة ستستقطب الآخرين أيضًا من غير الشيعة إلى أن يتماهوا شيئًا فشيئًا مع العقيدة والثقافة الشيعية بخطوطها العريضة لا أقلًا، وقد حصل هذا؛ لأن المخالفين عمومًا علماؤهم يجرون مجرى السلطان، فإن كان السلطان متطرفًا أفتوا له بما يتماشى مع التطرّف كما أفتى فقهاء الحنفية للسلطان العثماني بأن الشيعة كفّار ومشركون ومهدورو الدم، وقد وقعت

مجازر في تركيا والعراق وأذربيجان وغيرها من البقاع[1]، تلك المجازر وقعت لأن هذه هي توجهات الحاكم، فحين يأتي حاكم آخر ويقول بالتقارب يفتون له بالتقارب؛ كشلتوت[2] الذي أفتى بجواز التعبّد بالمذهب الجعفري، ولو نظرنا في أجواء تلك المرحلة لوجدنا توجهات ذلك الحاكم المصري هي توجّهات تقريبية مع الشيعة، ولما بُني وأراد نظام حسني مبارك أن يضع حواجز لأجل قطع الأنفاق ما بين رَفَح وسَيناء وقطاع غزَّة؛ أفتى الطنطاوي وغيره من شيوخ الأزهر بأن ذلك جائز، ولما أراد أن يخمد الثورة ضده؛ أفتوا بحرمة الاجتماع والتظاهر في ميدان التحرير، وبعدها تغيّرت الأمور حيث صارت لهم حرية التظاهر، وأفتوا أن الإسلام لا يمنع أحدًا من التظاهر وخلع الحاكم الظالم.

حاكم قطر يريد الصلح مع إسرائيل؛ يُفتي له القرضاوي ويجيز له ذلك، ولو انقلب حاكم قطر على إسرائيل يحرم القرضاوي، وهكذا، وعلى هذا فقس سائر الأمور الأخرى! «**الناس على دين ملوكهم**»[3]. المخالفون عمومًا يجرون مجرى السلطان، وينطبق عليهم هذا الحديث تمام الانطباق! لّما تشكّلت دول شيعية أو ذات صبغة شيعية وجدنا بعضًا من أكابر علماء أهل الخلاف جروا مجرى تلك الدول الشيعية؛ فألّفوا ما يُفيد التشيّع وهم من أكابر

(١) هو سليمان القانوني، وقد قاد ثلاث حملات حربية ضد الدولة الصفوية.

(٢) نص فتوى شلتوت (١٧/ ربيع الأول/ ١٣٧٨ هـ): «**إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الإمامية الإثنى عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعًا كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير حق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات**».

(٣) كشف الغمة للإربلي، ج٢، ص٢٣٠، وبمضمونه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له: «**ينتقل من دين ملك إلى دين ملك**». (الكافي الشريف، ج١٥، ص٨٤٩).

علماء أهل الخلاف؛ ذلك لأنها بيئة محفِّزة!

● **النموذج الثالث**:

نضرب نموذجًا تأريخيًا أخر؛ هنالك حاكم حكم الري اسمه أحمد بن الحسين المادراني أو المادرائي، هذا الرجل حين ننظر ونبحث نجد بأنه رجل يغلب الصلاح عليه عمومًا، وقد كوتِب من قبل سيدنا ومولانا صاحب الأمر (صلوات الله عليه) كما ذكر المحدّث النوري الطبرسي في كتابه الكلمة الطيبة عن السيد ابن طاووس.

هذا الرجل كان في بدو أمره متحالفًا مع قائد عسكري وحاكم آخر ناصبي يقال له «**كوتكين**»، ومع مرور الوقت انفصل عنه، ولعل الانفصال لأن المادراني تشيّع – الله العالم–، فلما انفصل عنه حكم بلدة الرَّي في إيران التي فيها الشاه عبد العظيم الحسيني (صلوات الله عليه) حاكم تلك المنطقة، ولمّا حكم كوّن تلك البيئة المحفِّزة التي نطمح بها.

وأذكر قصة تجدونها في منهاج الصلاح في مختصر المصباح للعامة الحلّي (رضوان الله عليه)، هناك يروي عن أحمد بن عبد الله البرقي العالم الكبير والثقة الجليل صاحب كتاب المحاسن، وهذه القصة تدلنا على ما كان يستشعره أو يُستشعر من أبي الحسن المادراني من الذوبان في الولاء بآل البيت (عليهم السلام) والعداء لأعدائهم، يقول: «**كنت نزيلًا بالري على أبي الحسن المادرائي كاتب كوتكين، وكانت لي عليه وظيفة في كل سنة عشرة آلاف درهم أخرجها عن خراج ضيعتي بكاشان، فلحقت في المطالبة بالمال، وشغل عني ببعض أسبابه، فبينما أنا ذات يوم على قلقي وارتماضي إذ دخل علي شيخ مستور، وقد نزف دمه وهو ميت في صورة الأحياء، فقال: يا أبا عبد الله، تجمع بيني وبينك عصمة الدين، وموالاة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فانهضني في هذا الأمر لله ولساداتنا، فقلت له: وما ذاك؟ فقال: إنه قد ألقي في حقي أني كاتبت السلطان سرًا بأمر كوتكين فاستحل بذلك مالي ودمي، فأنعمت**

له بقضاء الحاجة وانصرف، وفكرت بعد انصرافه وقلت: إن طلبت حاجتي وحاجته لم تُقْضيا معًا، وإن طلبت حاجته لم يقضِ حاجتي ولم يطب برده نفسي، فقمت من وقتي وساعتي إلى خزانة كتبي فوجدت حديثًا قد رويته عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهو: «من أخلص نيته في قضاء حاجة أخيه المؤمن جعل الله نجاحها على يديه، وقضى له كل حاجة في نفسه». قال: فقمت من وقتي وساعتي وركبت بغلتي وجئت إلى باب أبي الحسن المادرائي، فمنعني بعض الحجاب، وأنعم بعض، ثم اتفقوا على إدخالي فدخلت، فوجدته في روشن له متكئًا على داربزين، وفي يده قضيب، فسلمت عليه فأجابني، ثم أومى بالجلوس فجلست، فألقى الله تعالى على لساني آية قرأتها برفع الصوت وهي: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾. فقال لي: كرمًا يا أبا عبد الله، تفضل الله علينا بأموال فجعلها ثمنًا لدار الآخرة، فقال: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾. إشارة إلى المعاش والرياش، ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾. هذه تقدمة وتشبيه بحاجة، فاذكرها منبسطًا مسترسلًا، فقلت له: فلان ألقى في حقه كيت وكين، فقال لي: أشيعي تعرفه؟ قلت: أجل، قال: بالولاء والبراءة؟ قلت: أجل، فألقى القضيب من يده، ونزل على كرسيه، ثم أومأ إلى غلام له فقال: يا غلام آت بالجريدة، فأتى بجريدة وفيها أموال الرجل وهو مال لا يحصى، فأمر برده، ثم أمر له بخلعة وصرفه إلى أهله مكرمًا، ثم قال: يا أبا عبد الله، لقد بالغت في النصيحة، وتلافيت أمري بسببه، ثم قطع من جانبه رقعة من غير سؤال وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. يطلق لأحمد بن محمد بن خالد البرقي عشرة آلاف درهم وذلك من خراج ضيعته بكاشان». ثم صبر هنيئة وقال: أبا عبد الله جزاك الله خيرًا، لقد تداركت أمري بسببه، وتلافيت حالي من

أجله، قم قطع من جانبه رقعة أخرى وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. يطلق لأحمد بن محمد بن خالد البرقي عشرة آلاف درهم، وذلك لإهدائه الصنيعة والعارفة إلينا». قال: فملت على يده لأقبلها، فقال: يا أبا عبد الله لا تشوبن فعلي ببغيض، والله لئن قبلت يدي لأقبلن رجلك، هذا قليل في حقه، هذا متمسك بحبل آل محمد عليهم السلام»(١).

هذا هو المطلوب.. رفع الظلم عن الشيعة، وفي المقابل مخالفونا في زمان أبي الحسن المادرائي بسبب هذه الأجواء الصحية والبيئة المحفِّزة جعلهم يتحفّزون للنزول على الحق والتصريح به!

حتى إن أحد أكابر علماء أهل الخلاف مِمن يُرجع إليهم في الجرح والتعديل في التوثيقات، وهو رجل معروف يقال له ابن أبي حاتم عبد الرحمن الحنفي صاحب الكتاب الكبير في الجرح والتعديل، الذي عليه المخالفون عيال، ويرجعون إليه حين يريدون الكشف عن صحة رواية ما، وهو معظّم عندهم حتى أنهم ينقلون عنه كرامات - بغض النظر عن صحتها -، كان هذا الرجل محكومًا بحكومة ابن أبي الحسن المادرائي وكان من سكّان الرَّي، ألّف كتابًا في فضائل أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) في تلك الحقبة، قيل في ترجمته: **«وكان أهلُ الري أهلَ سُنّةٍ وجماعة إلى أن تغلّب أحمد بن الحسن المادرانيّ عليها فأظهرَ التشيَّع وأكرم أهلَه وقرّبهم، فتقرّب إليه الناسُ بتصنيفِ الكتب في ذلك»**(٢).

لأن توجهات الحاكم توجّهات شيعية؛ تقرّب الناس إليه بتصنيف الكتب في التشيّع، وبسبب وجود حاكم خيّر كوَّن بيئة محفِّزة صحية تحفِّز إلى أن يكتب، وهذه من النتائج

---

(١) دار السلام للمحدث النوري، ص١٦٢، عن منهاج الصلاح للعلامة الحلي عن صاحب المحاسن (رحمهم الله جميعًا).

(٢) معجم البلدان، ج٣، ص١٢١.

العظيمة للبيئة المحفِّزة.

نحتاج إلى مثل هذا النموذج، نموذج دولة أبي الحسن المادرائي الذي كوتِب من صاحب الأمر (عليه الصلاة والسلام)، رجل يتولّى المساكين والضعفاء من أيتام آل محمد (عليهم الصلاة والسلام)، ورجل يخلق بيئة محفِّزة تساعد غيرنا على الاقتراب من عقيدتنا وفكرنا ومنهجنا بما يدعّم الحق ويحييه، ويُضعف الباطل ويميته.

لا نستبعد إذا أقمنا دولة شيعية بالجزيرة العربية غدًا إن شاء الله أن يُصنِّف المفتي آل الشيخ كتابًا في فضائل أهل البيت، وشيخ الأزهر تلقاه ينال من أبي بكر وعمر وعائشة، وفي يوم السابع عشر من شهر رمضان[1] يُهنئك بقوله: «كل سنة وأنت طيب اليوم ماتت عائشة»، ويذهب إلى جماعته ويقول: «أنتوا فهمتنوني غلط أنا أقصد أهنيهم بيوم انتصار المسلمين في بدر لأنها وقعت في نفس اليوم»؛ فيعمل بالتقية!

فمن أهم ملامح دولة الأكارم التي هي من أفضل المغانم كما يقول أمير المؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) خلق البيئة المحفِّزة لظهور الحق، وليُسْقَط كلامي على الواقع، وانظروا هل هذه البيئة المحفِّزة موجودة في العراق مثًلا، وهل يعان على تكوّنها؟ وهل في إيران موجودة هذه البيئة؟ كلا!

(١) وهو يوم هلاك عائشة بنت أبي بكر.

المحتويات

The state of the honorable

People Rule diligence is not God's judgment

renewal of idiosyncratic in the issue of the legitimacy of the founding of the state in the time of the major occultation

Dawlat al-Akarim

